The International Journal of Islamic Studies and Culture (IJISC)
Volume 1, Issue 1, May 2022
ISSN: 2948-3778

أثر الكنيسة في تحول الغرب إلى الإلحاد، وعلاقته بالإلحاد المعاصر

The Effect of the Medieval Church on The West Deviating into Atheism and its Relation Contemporary Atheism to the

د أحمد زايد

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والدعوة –كلية الشريعة – جامعة قطر.

ahmad.zayed@qu.edu.qa

Abstract

As a phenomenon, atheism is such a nuisance to all religions. This phenomenon should be analyzed in order to recognize its deep roots and apply a general treatment. This research is a study conducted about the historical aspect of the Medieval Church with regard to the consequences of its behavior and attitude towards science, religion, and man, in general. Secularization and rejection of the religious power are the outcome of the conflict with the church. The western philosophers and scientists regard that as science overcoming religion. As the power of the clergymen shrank, a great ideational and ideological gap resulted. It was bridged by many successive philosophies such as the logical philosophy, physical philosophy, or empirical philosophy. Most of them were derived from the heathen and atheist Greek philosophy. Thus, atheism slowly prevailed Europe over time till the twentieth century. With the great advancement of the means of communication, it has become a dominant doctrine. In the Islamic countries, atheism is beginning in the form of movements. It differed from the early atheism that started in Europe. Yet, the historical roots are the same. This is the subject of the research.

The Key Words:

Church, medieval, atheism, conflict, clergymen.

مقدمة:

تتخبط الغرب فكريا وعقائديا، بين تيارات شتى متناقضة في مضمونها ومآلاتها، والجامع بينها عدم الثبات لفقدانها المرجعية الحقة، فكلما ظهر تيار نقض سابقه، وتشكلت بسبب تلك التحولات المتكاثرة ظاهرة (المابعديات) المعروفة في الفكر الغربي، ولا تزال هذه التيارات تتكاثر وتتناسل حتى وصلت بالغرب إلى حالة من السيولة والعبثية تؤذن بسقوطه وانهياره، وقد وَلَّدت هذه الأفكار وتلك الفلسفات ظاهرة واسعة الانتشار تجاوزت مساحة الوجود الغربي، حتى غدت خطرا على البشرية جمعاء، إنها ظاهرة "الإلحاد".

والأخطر هو تقنين الإلحاد في العالم إلى أن أصبح الدين الرسمي المنصوص عليه في دساتير العالم الغربي عندما نصت على كونها دولا علمانية، والعلمانية ما هي إلا انتصار للعلم على الكنيسة بعد صراع طال أمده.

ويشكل الإلحاد في عالمنا المعاصر معضلة كبرى تواجه بني الإنسان، وتحديا يجابه الأديان عموما، والإسلام على وجه الخصوص، إذ بشيوعه شقيت البشرية شقاء ظاهرا يوم أن انقطعت عن فطرتها وطبيعتها بانقطاعها عن السماء، وستظل في شقاء ما لم تراجع موقفها وتعود إلى فطرتها.

وقد بحث الكثير ظاهرة الإلحاد من جوانب عدة منها النفسي ومنها الفكري، في محاولات لتلمس بواعثها وأسبابها، وأرجعوها إلى أسباب كثيرة لا يتسع المقام إلى إيرادها، غير أن الجانب المهم الذي ما زال غائبا عن كثير من تلك الدراسات هو الجانب التاريخي الباحث في جذور الظاهرة، وبخاصة تاريخ العصور الوسطى في أوربا، وما جرى فيها من أحداث، أنتجت ثورة على "الدين" المسيحية، وإن شئت قلت على رجال اللاهوت، وانطلق الغرب – في جملته– بعيدا عن سطوة المسيحية وسلطة رجال الدين، وتفتقت أذهان فلاسفته عن توجهات وفلسفات أوصل أكثرها إلى تلك الحالة الإلحادية العبثية التي آل إليها واقع الغرب اليوم، ثم انتشرت في العالم بفعل السطوة الإعلامية والسياسية والمالية للغرب.

الإلحاد بين الأمس واليوم:

لم يكن الإلحاد ظاهرة تاريخية مصاحبة لتاريخ البشرية، كما يقرر رمسيس عوض بقوله "الإلحاد ظاهرة إنسانية شأنها شان الإيمان"[(1)]، فهذا حكم متعجل خالي من التدقيق التاريخي والتأني العلمي في بحث الظواهر، ولعله تأثر بالواقع الديني الذي آلت إليه البشرية اليوم حيث أصبح الإلحاد – بالفعل – ظاهرة معاصرة، أما اعتباره ظاهرة تاريخية مصاحبة لمسيرة الإنسانية فهذا ما قرر علماؤنا المسلمون المحققون والغربيون المؤمنون خلافه، فقد أكد الشهرستاني قديما أن الإلحاد وإنكار وجود الخالق سبحانه، أمر شاذ ومذهب لا يكاد يعرف صاحبه، فقد قال في سياق بيان معاني التعطيل: "أما تعطيل العالم عن الصانع العالم القادر الحكيم فلست أراها مقالة لأحد، ولا أعرف عليه صاحب مقالة إلا ما نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية أنهم قالوا: العالم كان في الأزل أجزاء مبثوثة تتحرك على غير

(1) من مقدمة كتابه ملحدون محدثون ومعاصرون، د رمسيس عوض، ط الأولى، ط سينا للنشر، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لندن، القاهرة1998.

استقامة، واصطكت اتفاقا فحصل عنها العالم بشكله الذي تراه عليه، ودارت الأكوار وكرت الأدوار وحدثت المركبات، ولست أرى صاحب هذه المقالة ممن ينكر الصانع، بل هو معترف بالصانع لكنه يحيل سبب وجود العالم على البحث والاتفاق احترازا عن التعليل، فما عددت هذه المسألة من النظريات التي يقام عليها برهان، فإن الفطر السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم عالم قدير، "أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فاطِرِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ"(إبراهيم: 10)، "وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ"(الزخرف: 9)[1].

وكذلك يقرر ابن تيمية في كتابه "منهاج السنة" أن منكري وجود الخالق لا يُعرفون، فقال في ذلك: (النَّاسُ مُتَّفِقُونَ عَلَى إِثْبَاتِ وُجُودِ وَاجِبٍ، اللَّهُمَّ إِلَّا مَا يُحْكَى عَنْ بَعْضِ النَّاسِ، قَالَ: إِنَّ هَذَا الْعَالَمَ حَدَثَ بِنَفْسِهِ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ: إِنَّ هَذَا لَمْ تَقُلْهُ طَائِفَةٌ مَعْرُوفَةٌ، وَإِنَّمَا يُقَدَّرُ تَقْدِيرًا كَمَا تُقَدَّرُ الشُّبَهُ السفسطائية لِيُبْحَثَ عَنْهَا، وَهَذَا مِمَّا يَخْطِرُ فِي قُلُوبِ بَعْضِ النَّاسِ، كَمَا يَخْطِرُ أَمْثَالُهُ مِنَ السَّفْسَطَةِ، لَا أَنَّهُ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ لِطَائِفَةٍ مَعْرُوفَةٍ يَذُبُّونَ عَنْهُ، فَإِنَّ ظُهُورَ فَسَادِهِ أَبْيَنُ مِنْ أَنْ يُحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ، إِذْ حُدُوثُ الْحَوَادِثِ بِلَا مُحْدِثٍ مِنْ أَظْهَرِ الْأُمُورِ امْتِنَاعًا، وَالْعِلْمُ بِذَلِكَ مِنْ أَبْيَنِ الْعُلُومِ الضَّرُورِيَّةِ"[2]. والشهرستاني وابن تيمية وإن قالا ما قالا، فقد تركزت أقوالهم على منكري وجود خالق وكونهم شرذمة في التاريخ، إلا أننا نقول إن صور الإلحاد المعاصرة قد تنوعت فلم تعد مقولة الإلحاد الوحيدة إنكار وجود خالق للكون، بل أخذت صورا عديدة يعرفها من يعتني بالإلحاد المعاصر ومشكلاته.

وهذا كله يعني أن الناس منذ وجودهم على ظهر البسيطة يعرفون ويقرون بوجود خالق، وإن اختلفوا في صفات وحقيقة ذلكم الخالق، ولا يعني هذا عدم وجود ملحدين منكرين لوجود الله في التاريخ في كافة الحضارات والأعصر، لكن لم يكن للإلحاد منظرون ولا علماء، ولا دولة حامية كما في العصر الحديث، والحدث الهائل الذي وقع في التاريخ الحديث من بدايات عصر النهضة في أوربا ونما واتسع حتى بلغ مساحات واسعة هو "مقولة إنكار الخالق، ومحاربة الايمان، والتصدي للأديان"، حتى غدا ذلك – كما ذكرت آنفا– ظاهرة واسعة، أتباعها يُعدُّون بالملايين[3]، حتى فاقت نسبة المنتسبين إلى الإلحاد نسبة أتباع ديانة عريقة كاليهودية مثلا، وقامت له دول تحميه كما كان في الاتحاد السوفيتي مثلا، بعدما كان الإلحاد في التاريخ مقولة شاذة ربما لا يعرف لها قائل حسب كلام الشهرستاني وابن تيمية.

والسؤال الذي يجيب عنه هذا البحث:

ما الأسباب الدينية والتاريخية الكامنة وراء تشكل تلك الظاهرة؟

وفي هذه الدراسة نبحث عن الجذور الدينية والتاريخية لظاهرة الإلحاد المعاصر، وأريد بالجذور الدينية: تلك الأسباب التي شكلت الدافع الأكبر والأقدم في ظهور الفكر الإلحادي والمتمثل في الصورة الدينية المسيحية التي حاول رجال

(1) نهاية الإقدام ص 123

(2) منهاج السنة النبوية (295/3)

(3) نورد بعضاً من الإحصاءات كمؤشر دال على اتساع ظاهرة الإلحاد

الإكليروس[1] فرضها على الغرب النصراني في العصور الوسطى، هذه الصورة الدينية التي لم يشأ التاريخ أن تَثبُتَ ثباتا كليا كحقيقة دينية مقبولة، – لافتقادها أسس ومعاني وأركان الحقيقة التي تؤهلها للثبات والقبول– دون أن تلقى حربا شرسة تظهر عوارها، وتدلل على عدم مصداقيتها، وافتقادها لأدنى مقومات العقلانية، وخصائص الحقيقة الدينية التي يمكن أن تُقبل وتستقر، ولذا كانت الثورة عليها والسعي إلى محوها.

يقول رمسيس عوض:" والجدير بالذكر أن الباحثين درجوا على رد جذور الإلحاد إلى عصر النهضة الأوربية الذي شجع على انتشار التقليد العلماني ثم الإلحاد الديني"[2].

منهج البحث:

يقوم البحث على منهجية تاريخية استقرائية، ثم تحليلية استنباطية، تنظر في التاريخ وتستقرئ مكونات الصورة الدينية التي حاول رجال الإكليروس فرضها، ثم تحلل وتستنبط مآلات هذه المحاولات، وكيف تشكلت من كل ذلك نتائج أفرزت ظاهرة الإلحاد والإلحاد الجديد، ولم ندَّع نحن ذلك بل اعتمدنا على تأكيدات كثير من الباحثين الغربيين، وقد قال "فايفر": "إن علماء اللاهوت المسيحي هم المسئولون عن وجود الإلحاد والملاحدة"[3].

وسيقوم البحث مبحثين وعدة مطالب:

المقدمة

المبحث الأول: كنيسة العصور الوسطى والجناية على الإيمان والعلم والإنسان.

المطلب الأول: مأزق الرؤية العقدية لمسيحية العصور الوسطى.

المطلب الثاني: مسيحية العصور الوسطى والأخلاق اللاأخلاقية.

المطلب الثالث: جدلية اللاهوت والعلم في العصور الوسطى.

المبحث الثاني: الحصاد المر: فلسفات ما بعد العصور الوسطى والطريق إلى الإلحاد.

المطلب الأول: الموقف الغربي من الدين بعد عصر النهضة.

المطلب الثاني: التوجه الإلحادي في الفلسفات الغربية في مرحلة ما بعد المسيحية.

النتائج.

المراجع.

المبحث الأول: كنيسة العصور الوسطى والجناية على الإيمان

(1) رجال الإكليروس (أساقفة وكهنة وشمامسة)، الذين يخدمون شعب الله. قاموس المطلحات الكنسية، للقمص تادرس يعقوب ملطي، (7)، كتاب إلكتروني متوفر بموقع: https://coptic-treasures.com.

(2) الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، (16).

(3) الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض (17).

المطلب الأول: مأزق الرؤية العقدية لمسيحية العصور الوسطى.

ليس جديدا القول بأن المسيحية قد تحولت ولا تزال تحولات جذرية في مضامينها العقائدية عبر مراحل تاريخية ممتدة لم تتوقف، فانتقلت بتلك التحولات انتقالا كليا أو شبه كلي عن صورتها الأولى المنزلة، والسبب الأكبر في إحداث هذه التحولات ذلكم "الفعل الكهنوتي"، وتلك "السلطة الواسعة" الممنوحة للآباء ورجال اللاهوت فيما يعرف بـ "التقليد الكنسي" وبخاصة في المذهبين الكاثوليكي والأرثوذكسي، والتقليد الكنسي حسب تعريف شنودة[1]: "هو كل تعليم وصل إلينا عن طريق التسليم الرسولي والآبائي، غير الكلام الذي ترك لنا في الكتاب المقدس، في موضوعات ربما لم تذكر في الكتاب، ولكنها لا تتعارض معه في شيء ما"[2]، وفي تعريف آخر: "الترتيبات والنظم التي توضح تفاصيل العبادة وطقوسها على مثال ما عمل الرسل والآباء"[3]. وعندما تناول متى المسكين مفهوم التقليد اعتبره أصلا مقدما على الإنجيل، فهو أعم منه، والإنجيل داخل ضمنه، فقال:" أما التقليد كله فهو ما كتب في الإنجيل وما احتفظ به من التعاليم والفرائض"[4]

فالتقليد إذا حسب المصادر:" هو كل تعليم مرئي أو مسموع وحيٍّ تسلمته الكنيسة من الرسل والقديسين"، وهو أقدم من وجود الكتاب المقدس بحسب الأنبا شنودة إذ يقرر أن "التقليد أقدم من الكتاب، يرجع إلى أيام أبينا آدم"[5].

بموجب هذه السلطة يحق للآباء المسيحيين الإضافة والنقصان من الديانة عبر الأزمان بحسب رؤيتهم الدينية، وما يقولونه يُتوارثُ بالتقليد ويصير دينا شفاهيا، مضافا إلى ما نقل مكتوبا، ومن لم يعترف بالتقليد من أتباع المذهبين المذكورين فلا يعد مسيحيا.

وقد أدمج في المضمون العقدي المسيحي من خلال التقليد الكثيرُ مما ليس منه حتى غدت المسيحية دينا جديدا جامعا بين المعقول وغير المعقول، بعضها ديني مسيحي وبعضها وثني. يقول كل من "اندريه نايتون وإدغار ويند، وكارل غوستاف يونغ" في كتابهم "الأصول الوثنية للمسيحية:" لم يعد يكفي دارس الأديان أن يشير إلى العلاقة الوثيقة بين الوثنية والمسيحية، بل ينبغي عليه القول: إننا لا نستطيع أن نفهم مسيحيتنا حق الفهم إذا لم نعرف جذورها الوثنية، فقد كان للوثنية حظ وافر في تطور الدين المسيحي وهو قسط غير مباشر ولا منظور، وإذا صح أن لليهودية تأثيرا على المسيحية وكانت أساسا جوهريا للنظرة المسيحية، فإن علينا أن ننبه إلى أن اليهودية نفسها أصيبت بالتأثيرات الوثنية من فارس وبابل وخضعت لنفوذهما عندما كان اليهود في المنفى. غير أن هناك تأثيرا خاصا

(1) الأنبا شنودة بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الأرثوذوكسية، واسمه نظير جيد روفائيل، (3أغسطس 1923- 17 مارس 2012).

(2) اللاهوت المقارن الأنبا شنودة (51/1) ط الثانية مطبعة الأنبا رويس – 1992 القاهرة.

(3) التقليد الكنسي، للقمص زكريا بطرس، (3).

(4) التقليد وأهميته (9) سابق.

(5) اللاهوت المقارن، (50/1). وانظر بحثنا: المسيحية بين التقليد الكنسي وتعاليم الكتاب المقدس، دراسة نقدية، منشور بمجلة كلية الشريعة – جامعة الكويت العدد (113) السنة: (33) – يونيو 2018.

مباشرا أصاب المسيحية، هو جوهر موضوعنا. لقد كان للوثنية اليونانية والفارسية هيمنة على المسيحية، وكذلك كان للوثنية في عموم الشرق. هكذا تم تأليف دين جديد لملمت أشتاته من هنا وهناك، وكان كمن يصب خمراً عتيقاً في جِرار جديدة"[1]. ومن أوضح تلك الإضافات ما ألحق بالأناجيل من رسائل وغيرها مما زعمت الكنيسة أن مُتلقَّى بالتقليد، والذي أصبحت به المسيحية صورة أخرى حتى عن صورتها في الأناجيل المحرفة. يقول مؤرخ الأديان "آرنست رينان" عن هذه الملاحق والزيادات: "إن الدراسات التاريخية للمسيحية وأصولها تثبت أن كل ما ليس له أصل في الإنجيل مقتبس من أسرار الوثنية"[2].

أرادت السلطة اللاهوتية الكنسية فرض تلك الصورة الوثنية الجديدة للمسيحية على الناس ومحاربة كل مخالف لها، أو مناقش لغير المعقول منها، فخالفت منطق العقل، وحقائق العلم، ونزاهة الأخلاق، وطبائع الأشياء وسنذكر بعضا من شهادات علماء الفلسفة والأديان والتاريخ الغربيين التي تؤكد الانحراف والتحريف الكبير الواقعين في المسيحية، وكيف أدى كل ذلك إلى رفض المسيحية، والثورة على رجالها، ثم الوقوف في طرف مضاد، ومن ثم تولدت فكرة العلمانية ومنها انطلق سيل الفلسفات التي أخذت شكل مدارس واتجاهات فكرية آلت إلى الإلحاد، وقد امتدت آثاره منذ ظهوره منبثا في ثنايا مقولات تلك الفلسفات حتى وصل إلى تشكيل تلك الظاهرة العالمية الحاصلة – وبخاصة في الغرب– ظاهرة "الإلحاد".

ومما يؤكد أن الإلحاد كان ردة فعل قوية تناسب قوة الفعل الكنسي تأكيد رمسيس عوض في كتابه الإلحاد في الغرب أن إيطاليا وهي معقل الكاثوليكية " درج الكثير من الناس فيها على معاداة رجال الإكليروس"[3]. لقد انتقدوا وعارضوا هذه الطبقة الدينية فعلا في قضايا كثيرة منها ما نسجته تلك الطبقة في الجانب العقدي المسيحي من أوهام وخرافات وخيالات.

وقد شكلت الرؤية العقدية المسيحية في هذه المرحلة مأزقا حقيقيا، حيث الصورة اللامعقولة للإله، حاول رجال الدين فرضها كعقيدة عَسُر على العقول الحرة فهمها وتصديقها، فآل الأمر إلى رفض المسيحية ومحاربتها، بل والكفر بها والتحرر من ربقتها.

الموقف من صورة الإله في المسيحية

من المعلوم أن المعتقد السائد بين جماهير المسيحية أن يسوع المسيح ليس إنسانا كبقية البشر، ولعل قانون الإيمان النيقاوي المجمع عليه لديهم عدا قلة، يبين هذا المعتقد، ففي هذا القانون:" بالحقيقة نؤمن بإله واحد، الله الآب، ضابط الكل، خالق السماء والأرض، ما يرى وما لا يرى. نؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر، الذي به

(1) الأصول الوثنية للمسيحية، اندريه نايتون، وإدغار ويند، وكارل غوستاف يونغ (20) ت: سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.

(2) الأصول الوثنية للمسيحية (20) السابق.

(3) الإلحاد في الغرب (16)

كان كل شيء. هذا الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء. تأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي. تألم وقبر وقام من بين الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلى السماوات، وجلس عن يمين أبيه، وأيضًا يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء.

نعم نؤمن بالروح القدس، الرب المحيي المنبثق من الآب. نسجد له ونمجده مع الآب والابن، الناطق في الأنبياء. وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية. ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا. وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي."[1]

وبمحاولة فهم حقيقة الإله في هذا النص تقع العقول في حيرة شديدة، تنتهي إلى الرفض المطلق لمضمونه متى تحررت من ربقة التقليد والعاطفة النائية عن التفكير وإعمال العقل.

اعتبر الكثير أن قبول العقل هذه الصورة المركبة والمعقدة والمتناقضة للإله إنما هي أهدار لقيمة العقل، يقول "بايل": "إن أسر إدراكنا في الإيمان بثلاثة أشخاص إلهية، وبإله إنسان في آن معا هو عبودية لعقلنا، فالمسيحيون يرتاحون للغاية إذن عندما يتخلصون من هذه العبودية"[2].

دفعت هذه الصورة المعقدة للإله الكثير ممن كانوا أعملوا عقولهم إلى إعلان رفض هذا المعتقد ومحاربته، إذ اعتبروه أكذوبة كبرى ينبغي التخلص من سطوتها، وقد وصل الأمر بكثير من هؤلاء إلى التشكيك أصلا في الوجود التاريخي لشخصية المسيح، حتى إننا نجد باحثا كبيرا كـ "ول ديورانت" يصور لنا شيوع هذا التشكيك عند الكبار في أوروبا فيفتتح كلامه عن ترجمته لـ "يسوع"، بهذه الكلمات: " هل وجد المسيح حقاً؟ أو أن قصة حياة مؤسس المسيحية وثمرة أحزان البشرية، وخيالها، وآمالها- أسطورة من الأساطير شبيهة بخرافات كرشنا، وأوزريس، وأتيس، وأدنيس، وديونيشس، ومثراس؟ لقد كان بولنجبروك والملتفون حوله، وهم جماعة ارتاع لأفكارهم فلتير نفسه، يقولون في مجالسهم الخاصة إن المسيح قد لا يكون له وجود على الإطلاق، وجهر فلنيVolney بهذا الشك نفسه في كتابه خرائب الإمبراطوريّة الذي نشره في عام 1991؛ ولما التقى نابليون في عام 1808 بفيلاند Wieland العالم الألماني لم يسأله القائد الفاتح سؤالاً تافهاً في السياسة أو الحرب، بل سأله هل يؤمن بتاريخية المسيح؟

ولقد كان من أعظم ميادين نشاط العقل الإنساني في العصر الحديث وأبعدها أثراً ميدان "النقد الأعلى" للكتاب المقدس- التهجّم الشديد على صحته وصدق روايته، تقابله جهود قوية لإثبات صحة الأسس التاريخية للدين المسيحي؛ وربما أدت هذه البحوث على مر الأيام إلى ثورة في التفكير لا تقل شأناً عن الثورة التي أحدثتها المسيحية نفسها. وقد دارت رحى أولى المعارك في هذه الحرب التي دامت مائتي عام كاملة في صمت وسكون" [3]

---

(1) هذا القانون مجمع عليه بين جميع طوائف النصارى عدا طائفة السبتيين، وجماعة شهود يهوه.

(2) الدين الطبيعي، جاكلين لا غريه، (78)، تحقيق منصور القاضي، ط:1، 1413هـ- 1993م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت لبنان.

(3) قصة الحضارة ول ديورانت (202/11).

و" إنريكو ريبوني" مهندس إيطالي، بدأ حياته مسيحيا، وراح يعمق إيمانه بديانته لكنه بعد عشرين سنة من البحث والنظر قرر الكفر بها والكتابة عن مساوئها بسبب ما اكتشفه فيها من تناقضات وخرافات ومساوئ، وفعل ذلك بدافع أخلاقي إذ يقول " القيم الأخلاقية الحقة هي تلك التي تدفع بالإنسان لمحاربة التصرفات غير العقلانية القائمة على معتقدات غير عقلانية"[1]، ثم يظهر شيئا من هذه المعتقدات الغامضة حول الإله في المسيحية مثل " أن يقال للطفل إن الله واحد ولكنه في نفس الوقت ثلاثة أشخاص"[2]، و"كيف يمكن للناس الذين يذهبون إلى الكنيسة كل يوم ليأكلوا قطعة من لحم إله يعبدونه ويشربون دمه"[3]، وعن الله في المخيال المسيحي يقول :"المسيح " يعتقدون أنه إنسان، وأنه "الله" شخصيا، فوفقا للعقيدة الكاثوليكية المسيح هو ذلكم النبي الذي كان اليهود ينتظرونه، أي أنه إنسان، وهو في نفس الوقت ابن الله، أي إنسان وإله في نفس الوقت، وهو الله شخصيا ولا شك أن هذه المفاهيم أو هذا التعريف لا يستقيم مع أي منطق ولا تستقيم فيما بينها"[4].

ويتعجب جوستاف لوبون من صورة الإله لدى النصارى قائلا: "حقا كيف يؤمن الرجل الحديث بوجود إله حقود يُحَمِّلُ وزر معصية الإنسان الأول ذراريَّ هذا الإنسان فيجعل ابنه الخاص (يسوع) يكفر عن تلك الخطيئة الواهية؟"[5]، ويقول: " إن يسوع المعبود الذي يضرع إليه المؤمنون من صنع الجموع"[6] ويقول جوستاف لوبون كذلك :" قال الأستاذ غنيبر" لو قيل للحواريين الاثني عشر إن الله تجسد في يسوع ما أدركوا هذه الفضيحة الفظيعة، ولرفعوا أصواتهم محتجين"[7]، يقول ذلك في سياق نقده للامعقولات النصرانية التي ساقها رجال اللاهوت، وقد وجدناه ينتقد صورة الإله المسيحي (يسوع) ويعتبره أسطورة لا نعرف عن حياته شيئا فيقول: "وعلى ما تراه من معرفتنا بما فيه الكفاية لحياة كثير من مؤسسي الأديان –كحياة محمد مثلا– ترى حياة مؤسس النصرانية مجهولة تقريبا، ولا تبحث عن حياة مؤسس النصرانية في الأناجيل كما صُنع ذلك زمنا طويلا، وكما عدل العلم عن اعتقاد إمكانها في الوقت الحاضر، فهذه الأناجيل وأقدمها إنجيل مرقص الذي كتب بعد وفاة يسوع بنصف قرن على الأقل هي مجموعة من الأوهام والذكريات غير المحققة التي بسطها خيال مؤلفيها التقي[8].

وأما جيفري لانج فأكد أن مقررات الإيمان الذي كان يُطالَبُ به لم تكن مقنعة له ألبتة، مما أثار في نفسه وعقله صدودا عن هذه اللامعقولات، يقول لانج "إنني أرفض الاستسلام لمطالب لا عقلانية من طغيان لا محدود، وأرفض توريط نفسي في نرجسية لا تنطفئ تتغذى على تألم بائس، وأرفض أن أقبل بالمسئولية وأن أتوب عن خطأ جسيم

(1) الإلحاد وأسبابه، التاريخ الأسود للكنيسة (15).
(2) الإلحاد وأسبابه، التاريخ الأسود للكنيسة (18).
(3) الإلحاد وأسبابه، التاريخ الأسود للكنيسة (17).
(4) الإلحاد وأسبابه، التاريخ الأسود للكنيسة، (20).
(5) حياة الحقائق، جوستاف لوبون (66).
(6) حياة الحقائق، جوستاف لوبون (67).
(7) حياة الحقائق، جوستاف لوبون (52).
(8) حياة الحقائق، جوستاف لوبون (52).

لم أرتكبه أصلا. وفي النهاية سوف أكون الضحية الأبدية لأعظم ظلم في الكون، وبهذه الطريقة فسوف أكون وللأبد مثلا من الحق أعلى من الذي جاء بنا إلى هذا الوجود"[1]، يشير بذلك إلى فكرة الخطيئة والخلاص.

أما "نيتشه" فقد انتقد أخلاق الإله المسيحي عندما قدمته الكنيسة لجمهورها أنه إله رحمة مطلقة، وقد دفعه ذلك مهاجمة تلك الصورة غير المتوازنة للإله فقال:" أي إله هذا الذي لا يعرف سخطا، ولا انتقاما، ولا غيرة ولا سخرية ولا مكرا ولا عنفا؟"[2].

وزاد العقلاءَ نفورا وانتقادا ورفضا، تلك الصورة التي قدمها الكتاب المقدس عن الإله المسيحي، من حيث كونها صورة محيرة، ومنفرة في ذات الوقت.

أما كونها محيرة فمن وجهين:

الأول: أن إله التوراة والعهد القديم يخالف تماما إله العهد الجديد.

الثاني: أن قدرة العقل على تصور أن الإله مثلث الأقانيم مستحيلة.

وأما كونها منفرة فمن وجهين:

الأول: كونه في العهد القديم في غاية الشر والفساد.

الثاني: أنه في العهد الجديد في غاية الضعف والاستكانة.

فأما اختلاف صورة الإله في العهد القديم عن العهد الجديد فرأى كثير من فلاسفة الغرب وعقلائه تناقضا عجيبا بين صورة الإله في اليهودية من حيث كونه إلها عنيفا قاسيا قويا غاضبا، وبين صورة الإله في المسيحية الذي يمثل جوهر الخير كله فقط.

فنفر البعض من طبيعة الإله المسيحي حيث مثلت صورته تلك، حالة الضعف والاستكانة، فيتساءل نيتشه: "عندما يجرد مفهوم الله من شروط الحياة المتنامية، ومن كل ما هو قوة وشجاعة وسيادة ونخوة، وعندما يسقط شيئا فشيئا إلى وظيفة عكاز للمتعبين، وطافية نجاة لكل الغرقى، وعندما يتحول إلى إله للضعفاء، وإله خاطئين، وإله مرضى بامتياز، وعندما لا يتبقى له من الصفات الإلهية عامة غير ما يحمله اسما" المنقذ"، "والمخلص"، عمَّ ينبيء مثل هذا التحول؟

كما يؤكد جوستاف لوبون اضطراب العقيدة النصرانية وعدم ثباتها نتيجة كمِّ المشاحنات الواقعة من علماء اللاهوت فيقول: "ولا تجد كالنصرانية دينا لم يتخلص من مشاحنات علماء اللاهوت، ومن المحتمل أن كان هذا الدين ينحلُّ من هذه المماحكات لو لم يجد دعامة متينة في إيمان العوام البعيدين عنها، ولم تثبت العقائد النصرانية ثباتا حقيقيا

(1) حتى الملائكة تسأل، جيفري لانج (18)، ترجمة: منذر العبسي، ط الخامسة 2013، دار الفكر دمشق – بيروت.
(2) فريدريش نيتشه، نقيض المسيح (44).

إلا بعد أن سُلِّم بسلطان البابا تسليما نهائيا في القرن الخامس عشر"[1]، ولعل سائلا يسأل عن سر تقبل المسيحيين لتلك العقيدة المعقدة المشحونة على ما فيها من تناقضات وتعقيدات، يجيب جوستاف لوبون محللا عن تلك الظاهرة النفسية العجيبة ويعزوها إلى طبيعة النداءات المسيحية للناس حيث " جاء الدين النصراني الجديد بآمال واسعة، فقد وعد الضعفاء والمحرومين والبائسين من هذه الحياة بجنة ذات نعيم أبدي حيث يتساوى الفقير والغني، وحيث لا ينال أقوياء الدنيا أكثر مما يناله أحقر البائسين من الامتيازات، ولا غرو فالاشتراكية تهيمن على الجموع مع أنها دون النصرانية وعودا في الوقت الحاضر، فرؤيا السعادة تجتذب النفوس على الدوام.

وتم النصر للدين النصراني منذ لاحت تلك الحياة السعيدة أمراً يقينياً، فتحوَّل العالم ... والنصرانية حين فتحت للنفوس أمل السعادة الأبدية كان أول ما أسفرت عنه تحويل هدف الحياة، فبينما كانت الحياة الدنيوية أهم ما يُعنيَ به الإغريق والرومان، صارت الحياة الآخرة الغاية الوحيدة لآمال النصراني، والنصراني إذ كان يعد الدنيا ممراً للحياة السماوية ملكت السعادة الأبدية أفكاره، والنصراني لكي ينال هذه السعادة ويجتنب جهنم رضي بأسوأ زهد: رضي بالفقر وبالرهبانية وبالشهادة أيضا"[2].

وبجانب المشكلات الجمة التي اكتنفت مضمون ومكونات العقيدة المسيحية، انضافت إلى ذلك مشكلة أخرى تتعلق بمسالك الاحتجاج لهذه العقيدة، حيث سلك رجال الإكليروس مسالك عجيبة في إثبات العقيدة انقلبت هي ذاتها حجة ضد تلك العقائد، من تلك المسالك زعمهم "بأن إجماع العالم على الإيمان بالله هو خير دليل على وجوده"، انهارت هذه الحجة في النصف الثاني من القرن السابع عشر واتخذت حجة في نقض العقيدة بوجود الله، " فكثرة الرحلات والأسفار الأوربية في هذا القرن أثبتت أن مثل هذا الإجماع غير صحيح وأن بعض المجتمعات لا تعلم بوجوده، فضلا عن أن الكثيرين من الأوربيين في عصر النهضة اقتنعوا ببعض القيم غير المسيحية، وساعد الاعتقاد بين هؤلاء الأوربيين أن ميكافيللي نادى بأن الأديان الوثنية أفضل من الدين المسيحي"[3].

يضاف إلى ذلك أسلوب العنف والإكراه والرقابة الذي اتبعته الكنيسة في الإقناع بالعقائد وملاحقة المناقشين والمتسائلين حولها، وقد أفضى هذا الأسلوب القمعي إلى ردة فعل لم تكن سوى الإلحاد والرفض.

وخلاصة هذه المسالة أن العقل الغربي الحر بدأ يفكر، فهداه تفكيره إلى رفض تلك العقيدة السمجة والمتناقضة عن الإله في المعتقد المسيحي والذي حاول رجال الإكليروس فرضها عليهم بالخداع تارة وبالإكراه تارة.

المطلب الثاني: مسيحية العصور الوسطى والأخلاق اللاأخلاقية:

(1) حياة الحقائق، جوستاف لوبون (55).

(2) حياة الحقائق، جوستاف لوبون (56)

(3) الإلحاد في الغرب (19- 20).

صاحب الاتجاه الرافض للعقيدة المسيحية على النحو السابق اتجاه آخر بدأ ينتقد المضمون الأخلاقي المسيحي، وذلك لاعتبارات فطرية وأخرى فلسفية اتخذها الرافضون معيارا لأحكامهم للنقد، وزاد الأمر حدة لدى هؤلاء الفلاسفة تجاه الأخلاقيات المسيحية جملة السلوكيات الشاذة التي لاحظوها في حياة القساوسة والباباوات سواء منها ما كان في قضايا المال وما صحبه من أطماع واستغلال السلطة الدينية، أو ما كان في جانب السلوك الجنسي والعلاقات بين بعض اللاهوتيين والنساء.

فانطلق النقد للأخلاق المسيحية من رفض الجانب النظري المتمثل في نصوص أخلاقية مسيحية وردت في الكتاب المقدس كما في نصوص نشيد الإنشاد مثلا، ثم أكدته وحركته الانحرافات الأخلاقية السلوكية لرجال الدين المسيحي فعلى مستوى نقد النصوص الأخلاقية المسيحية

رأي نيتشه فيما انتهت إليه فلسفته أن: "الرذيلة هي المسيحية"(1)، و"أن المسيحية ديانة عدمية في إرضائها لربها"(2)، حيث اعتبر أن الأخلاق التي تدعو إليها تعبر عن أخلاق العبيد، وأنها سير نحو العدمية قائلا في سياق حديثه عن الأخلاق المسيحية: "إن العهد الجديد هو إنجيل الإنسان الذي يتسم بالوضاعة الكاملة"(3).

ووصف الكنيسة المسيحية بقوله "والكنيسة المسيحية لم تدع شيئا يفلت من الفساد الذي أحاطت به كل شيء، لقد جعلت من كل قيمة لا قيمة، ومن كل نزاهة شينا"(4).

وقال" أُسمّي المسيحية اللعنة الكبرى"(5)، كما أبان عن العوار الأخلاقي في المسيحية، لأنها:" صورت لهم أرقى قيم العاقلة البشرية على أنها خطايا وضلالات، وتلبيس وغوايات"(6).

يقول رمسيس عوض:" ويعيب نيتشه على المسيحية أنها تستأنس شجاعة الإنسان وتروض جسارته، وهذا خطأ لأن الحيوان المتوحش يفقد كثيرا من روعته وعظمته عند استئناسه، وفكرة الندم على الذنوب والخلاص منها التي تبشر بها المسيحية تصيب فيلسوفنا بالغثيان. يقول نيتشه عن تراث الدين المسيحي في هذا الشأن:" نحن ورثة تشريح الضمير وصلب النفس اللذين استمرا لمدة ألف عام"(7). ويوافق نيشه الفيلسوف الفرنسي باسكال الذي يقول:" ما الذي نحاربه في المسيحية. نحن نحارب فيها سعيها إلى تحطيم الأقوياء وكسر أرواحهم واستغلال لحظات تعبهم وعجزهم وسعيها إلى تحويل الوثوق الفخور بالذات إلى حالة من القلق وتنغيص الضمير، ونحن نحارب فيها أنها

(1) فريدريش نيتشه، نقيض المسيح، مقال اللعنة على المسيحية، (150)، ترجمة علي مصباح، منشورات الجمل، بيروت، ط الأولى، 2011.
(2) فريدريش نيتشه، نقيض المسيح، مقال اللعنة على المسيحية، (148)
(3) فريدريش نيتشه، ملحدون محدثون ومعاصرون، (22).
(4) فريدريش نيتشه، نقيض المسيح، مقال اللعنة على المسيحية (148).
(5) فريدريش نيتشه، نقيض المسيح، مقال اللعنة على المسيحية (149).
(6) فريدريش نيتشه، نقيض المسيح، مقال اللعنة على المسيحية (28).
(7) فريدريش نيتشه، ملحدون محدثون ومعاصرون (22).

تعرف كيف تسمم أنبل الغرائز وتصيبها بالسقم والمرض حتى تتجه قوتها وإرادتها في الحياة إلى دخيلة الذات وتدمر نفسها، وحتى يهلك الأقوياء بسبب إفراطها في احتقار الذات وقتلها التضحية بها، وهي طريقة مروعة"[1].

وأما أنريكو ريبوني الذي انتهى أمر نظره في المسيحية إلى الإلحاد كما أسلفنا، فتقول زينب عبد العزيز عنه: "وحول " الأخلاق اللاأخلاقية" التي يتم فرضها يقول ريبوني: "كلنا نعرف أن الإنجيل بعهديه ليس المنبع المناسب الذي نستقي منه الأخلاق والمبادئ الأخلاقية، فالأناجيل مليئة بالتناقضات، وتوصي تارة بأنه يجب تبجيل الأب والأم، وتارة أخرى باحتقارهم. وتنص على أن العبودية شيء لا يمكن الاعتراض عليه، وأنه يجوز بيع البنات كعبيد، وممارسة القتل العرقي، وقتل المدنيين في زمن الحرب، إلخ...وأنه اعتمادا على مقولة المسيح "اعط لقيصر ما لقيصر، وعلى قول بطرس " إن العبد عليه الطاعة لسيده حتى وإن كان شريرا أو قاسيا، رفعت الكنيسة الخضوع والطاعة للسلطة القائمة إلى درجة الفضيلة، ويمكننا أن نتخيل كل ما جنته الكنيسة على مر العصور من مكاسب سياسة ومادية"[2].

كما كانت الوجهة الأخلاقية للمسيحية التي يظهرها رجال اللاهوت للشعب المسيحي منتقدة وغير مقبولة، حيث رآها كثير من العلماء والمفكرين والفلاسفة الغربيين متناقضة من ناحية قضاياها ومفرداتها، ولا تلبي حاجات الإنسان، ولا تنسجم مع طبيعته من ناحية أخرى.

وثم مسألة أخرى تتعلق بمسألة الأخلاق في المسيحية، وهي فكرة احتكار المسيحية للأخلاق، واعتبار أن المسيحية –رغم كل هذا– هي الأفضل أخلاقا على الإطلاق، هذا الاحتكار للأخلاق رصده بعض الثائرين على المسيحية، واعتبره سببا ينضم إلى الأسباب الأخرى التي تبرر الثورة على المسيحية ورفضها، يقول "ريبوني" عن ادعاء امتلاك المسيحية وحدها الأخلاق الحسنة:" وهذا الادعاء قائم على مفاهيم جدا زائفة إذ أنهم مقتنعون بأن العالم أفضل بسبب وجود المسيحية لأن تعاليم المسيحية تنص على حب الآخر وحب القريب الخ، وبذلك يكون المسيحي أفضل من غير المسيحي لكن إذا ما قورنت الأفعال في الواقع وعلى مر التاريخ لرأينا الجانب الحقيقي"[3]. كان هذا النقد كله على مستوى التنظير.

وأما على مستوى السلوك الأخلاقي العملي فقد أبصرت أعين الناس الكم هائل من الانحرافات التي يقع فيها رجال الدين، حتى قال ريبوني عن ذلك:" إن الكنيسة الكاثوليكية مؤسسة إجرامية، عش منحرفين جنسيا ومغتصبين للراهبات. وذلك حتى يومنا هذا. وإذا ما نظرنا إلى الماضي القريب، لرأيناها تدافع عن الأسقف الذي تتهمه العدالة بغسل الأموال الحاصل عليها مقابل جريمة منظمة، وفي السبعينات رأيناها تتحالف مع المافيا لتصدير الأموال خارج إيطاليا، ورغم ذلك الماضي القريب كان للكنيسة دولتها حيث كانت تحكم على اليهود بالحبس في معزلهم، وسجن

(1) فريدريش نيتشه، ملحدون محدثون ومعاصرون (22،23).

(2) زينب عبد العزيز، الإلحاد وأسبابه، الصفحة السوداء للكنيسة، (16)، ط الأولى دار الكتاب العربي – دمشق – القاهرة، 2004.

(3) زينب عبد العزيز، الإلحاد وأسبابه، الصفحة السوداء للكنيسة، (30).

"الهراطقة" المنشقين عليها وتعذيبهم وحرقهم أحياء، وهي لم تتخل عن ذلك طواعية وإنما عندما قامت السلطة المدنية عام 1871م بحرمانها من سلطانها"[1].

ومن بين السلوكيات المنتقدة على رجال الإكليروس ما لمسته الجماهير الغربية من مساندة الكنيسة لرجال المال الإقطاعيين الرأسماليين وسكوتهم على المظالم التي يرتكبونها في حق العمال والفقراء المظلومين في عصر اكتشاف البخار والآلات التي تحول أوربا بها من الحالة الزراعية إلى مرحلة الصناعة، والتي تم فيها استغلال الفقراء أسوأ استغلال دون أن تنكر الكنيسة شيئا من هذه المظالم، فاتهمتها الجماهير المسيحية وشكوا في صدقها، واعتبروها ديانة تبرر الظلم وتحميه ولا تقف في جانب المظلومين، وأنها ديانة عاجزة عن تقديم الحلول، فانتشر الإلحاد والرفض لهذه الديانة نتيجة مثل تلك المواقف السلبية للكنيسة ورجالها.

ولست هنا بصدد إبداء رأيي الشخصي كباحث مسلم في الأخلاق المسيحية ومدى كفاءتها، فمن الظلم القول بأن كافة ما ورد في المسيحية من أخلاق ينبغي رفضه وانتقاده، وقد رأينا الكثير من الغربيين والشرقيين يبدون إعجابهم الشديد بأخلاق المسيحية.

ولكن الشأن هنا هو بيان موقف البعض من الأخلاق المسيحية وطريقة فهمهم إياها وتفسيرهم مضمونها، ويمكن القول بأن الجانب السلوكي في حياة بعض اللاهوتيين كان دافعا قويا لعدم الاقتناع بالجانب الأخلاقي، كما أنه لا يمكن القول إن جانبا واحدا هو الذي حرك العقل الغربي لرفض المسيحية بل باجتماع مجموعة قضايا منها العقدي ومنها الأخلاقي ومنها العلمي دون انفراد واحد من كل ذلك بالتأثير.

المطلب الثالث: جدلية اللاهوت والعلم في العصور الوسطى:

لم توجد ديانة حاربت العلم، ونكلت بأهله مثلما فعلت المسيحية في العصور الوسطى، يقول إسماعيل مظهر "لم تبلغ الخصومة بين العلم واللاهوت من الشدة ما بلغت في القرون الوسطى وبين أحضان الكنيسة، فإنك لا تعثر في تاريخ الأديان كلها على تاريخ يشابه تاريخ مذاهب اللاهوت النصراني في قيامها في وجه العلم أزمانا طوالا بل قرونا متعاقبة، والسبب في هذا أنه قامت لدى اللاهوتيين فكرة ثابتة في أن العلم لا يجب مطلقا أن يبشر بشيء فيه أقل مخالفة لظاهر ما جاءت به الأسفار المقدسة والمتون ورسائل الحواريين، لست تعلم لماذا يكون هذا لزاما على العلماء والفلاسفة مع أن طبيعة الدين لا تسع هذا ولا تدعو إليه"[2]، والحقيقة أنها كانت معركة لا بين العلم والدين وإنما كانت معركة كما قال إسماعيل مظهر "بين اللاهوت والعلم"، وإن قلنا الدين فهو الدين الذي وضعه هؤلاء، لا الدين المنزل الذي لم يعد موجودا.

(1) زينب عبد العزيز، الإلحاد وأسبابه، الصفحة السوداء للكنيسة، (17).

(2) بين الدين والعلم تاريخ الصراع بينهما في العصور الوسطى، أندرو ديكسون وايت، ترجمة إسماعيل مظهر (10)، مؤسسة هنداوي القاهرة،1930.

فبمجرد أن " اندفع رواد الفكر الحديث جماعات وأفرادا، لارتياد المجهول من آفاق الحقيقة، والتبشير بالآراء الجديدة ومجابهة السلطات الكهنوتية بأضاليل العلم القديم الذي اعتمدته وأقرت حقائقه، وكان البحث العلمي الحديث على خلاف ملحوظ مع أساليب التفكير القديم، علا صوت المشاهدة والتجربة عند العلماء، وأخذ مكان الوحي الذي انفرد بالنفوذ قبل ذلك، فأزعجت هذه الحركة الجديدة رجال الإكليروس، ووطدوا العزم على تطهير الجو من آثارها، وتضافر الكاثوليك والبروتستانت على مطاردة أهلها" (1).

وقد شهد تاريخ الغرب صراعا هائلا بين الكنيسة والعلم، فمثلا " عرفت باريس عام 1624م طائفة من شبان العلماء المشتغلين بمنهج البحث التجريبي، الذين انسلخوا عن أرسطو، ولكن برلمان باريس قد قرر مسوقا بمساعي رجال الكهنوت تحريم هذه المباحث الكيميائية الحديثة، وأنذر من لم يذعن لقراراته بعقوبات صارمة – فيما يقول هوايت White... وفي إيطاليا نهض الإكليروس لمناهضة الروح العلمي ومطاردة رجاله، فأكاديمية البحث الطبيعي Academy for the Study of Nature، التي أنشأها تليزيو Telesio في نابلي 1560 أثارت فرع الإكليروس، فسارع إلى العمل على قمعها وأدت حركة المقاومة إلى القضاء على الجهود العلمية المشتركة فلم تظهر الجمعيات العلمية في أوروبا إلا بعد مضي ما يقرب من مائة عام"(2)

وتحت عنوان "علم الفلك" يسوق أندرو ديسكون وايت كثيرا من النماذج تبين معتقدات الكنيسة ورجال اللاهوت حول بعض المسائل الكونية فيذكر "النظرية الجيوسنترية وهي النظرية المقدسة في تكوين العالم "، ويقول: "كان التنازع على العلاقات الواقعة بين السماوات المنظورة والسيار الأرضي محورا لسلسة من الوقائع تصادم فيها اللاهوت والعلم صداما والتحما التحاما.

نظرت الكنيسة – خلال العصور الأولى– في علم الفلك نظرة القانع بأنه من الأشياء البائرة، اعتمادا على حكمة ظاهرة بشرت بها التوراة، مؤداها أن الأرض لابد من أن تزول سراعا، وأنه سوف تكون "سماوات جديدة وأرض جديدة"، فلماذا إذاً إعنات النفس في درس السماوات القديمة والأرض القديمة، ما دامتا سوف تتبدلان سريعا بشيء جديد لا نهاية لأوجه تفضيله على القديم المنهار الأركان المتصدع البنيان؟(3).

ويا ليتهم امتنعوا عن وضع تصورات وقنعوا بأن هذا القديم سيزول بل إنهم خمنوا تخمينات لا تعدو أن تكون أوهاما وخرافاتٍ ثم جعلوها دينا ملزما يتهم مخالفه بأبشع الاتهامات، وصولا إلى اعتبار ذلك هرطقات تستوجب الطرد والحرمان ولربما القتل والإفناء، ومما ذكر وايت في هذا السياق:

(1) قصة النزاع بين الدين والفلسفة (146).

(2) قصة النزاع بين الدين والعلم (147).

(3) بين الدين والعلم، تاريخ الصراع بينهما في العصور الوسطى، أندرو ديكسون وايت، (28).

- اعتبار اللاهوتيين أن الأجرام السماوية أشباح، وانقسام آباء الكنيسة في حقيقتها إلى آراء، فأوريغن ومن حوله اعتقدوا أنها ذوات حية تقمصتها أرواح، واعتقد فريق آخر بأنها محلات تسكنها الملائكة، وأن الملائكة تحركها، وقال آخرون إنها كائنات روحية تحركها الملائكة.
- البناء السماوي: فقد كان معتقد الكنيسة قائما على ما جاء في التوراة من أنها قبة صلبة القوام ركبت فوق الأرض، وأن الأجرام السماوية أضواء معلقة فيها، وظل هذا المعتقد إلى أن جاء القديس (فيلاسطوريوس) وقرر أن من أنكر القول بأن الله يجلب الأجرام السماوية من خزائنه كل ليلة ليعلقها في السماء فقد وقع في هرطقة صريحة، واعتبر ذلك انكارا للمعتقد الكاثوليكي.
- وعلى المستوى الأرثوذوكسي جاء القديس (إزيدور) في القرن السابع مقررا بأنه منذ خطيئة الإنسان الأولى قلت الأضواء بسببها من الشمس والقمر، وساق من الكتاب المقدس نصوصا تشير إلى أن الإنسان إن سعى إلى الخلاص من هذه الخطيئة فإن الشمس والقمر تعود إليهما أضواؤهما التي فقداها بسبب الخطيئة.
- وحاول رجال اللاهوت تثبيت "نظرية الجيوسنترية"، وهي النظرية القائلة بأن الأرض مركز الكون ومحور النظام الكوني، وأن الشمس والنظام الكوني إنما يدرن حولها، تلك النظرية التي شاعت زمنا امتد قرونا، إلى أن ظهرت فكرة أخرى كانت تعلو أحيانا وتخفت أحيانا عبر قرون عديدة إلى أن ظهرت بقوة على يد (نيقولا كوبرنيقوس)، هي نظرية (الهيلوسنترية)، وهي التي تعني أن الشمس مركز النظام الكوني، أعلنها كوبرنيقوس بقوة سنة 1500 ميلادية، لكنه أعلنها على أنها قول من الأقوال وغريبة من الغرائب، متحسبا رد الفعل الذي يمكن أن يلقاه من اللاهوتيين، وظلت المسألة في عقله مقتنعا بصحتها لكنه لا يجرؤ على إعلانها على أنها حقيقة، وكانت النتيجة أن انتظر حتى أتم كتابه الكبير " حركات الأجرام السماوية "، وأهداه إلى البابا نفسه، وفكر في مكان ينشر فيه كتابه فلم يجرؤ أن يرسله إلى روما حيث هناك تجثم عصابة من رؤوس الكنيسة القديمة مرتقبون لمصادرته، ولم يستطع أن يرسله إلى " ويتنبرج" حيث هناك رؤوس البروتستانت، وما كانوا في ذلك الزمان بأقل عداء لحقائق العلم من زعماء الكثلكة.

يقول ديكسون:" وفي الرابع والعشرين من شهر مايو 1543 وصلت أول نسخة من الكتاب مطبوعا إلى حيث يقيم كوبرنيقوس، ولما أن وضعت النسخة بين يديه كان الجهبذ الكبير محتضرا على فراش الموت"، وبعد موته حظروا تدريس نظريته، وكل كلام يتحدث يبشر بدوران الأرض. وأصبحت قراءة كتب كوبرنيقوس إثما لا يوازيه عقاب سوى اللعنة الأبدية.

وقصة الكنيسة مع جاليليو من بعده قصة طويلة محزنة، حيث منع من تدريس علم الفلك، ثم حرق كتبه، ولم يكن جاليليو وحده بل عشرات العلماء الذين وقفوا حياتهم على العلم واستعملوا الوسائل العلمية في إثبات الحقائق كل هؤلاء لم يلقوا إلا الحرمان أو القتل أو تكميم الأفواه.

لم يكن كل ذلك بالأمر الهين بل إنه راكم الغضب، وتواترت بسببه في النفوس الرفض التام لسلوك رجال الكنيسة الأمر الذي أفضى إلى الثورة في نهاية المطاف على الكنيسة كرد فعل لتلك المخازي[1].

والعجيب هو استناد اللاهوتيين في هذا النزاع إلى نصوص من الكتاب المقدس، فالأب" كاكاشيني" قد عمد في إحدى خطبه إلى نصوص من الكتاب المقدس مستندا إلى النص القائل " أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء؟" لم يلبث أن يذيعها حتى شحذت المدى مسددة إلى قلب الفلكي الكبير، فإن "كاكاشيني"، لم يكد ينتهي من خطابه حتى خلص إلى نتيجة محصلها " أن علم الهندسة رجس من عمل الشيطان"، وأن الرياضيين يجب أن يبعدوا نفيا، على اعتبار أنهم النبع الذي يفيض بالهرطقة، ولهذا ترى أن السلطات الكنسية قد خلعت على كاكشيتي" حلل الشرف بأن رفعت منزلته وحبته برضوانها"[2]

مساحة المحاربين للعلم باسم الدين في أوربا:

العجيب أن هذا الموقف اللاهوتي من العلم لم ينحصر في قلة من رجال اللاهوت أو جماعة محدودة من طائفة مسيحية ما، وإنما كانت النصرانية تقريبا بكل طوائفها وبخاصة الكاثوليكية والبروتستانتية مطبقة على هذا الموقف من العلم.

يقول أندرو ديكسون وايت: " وما من شك في أن الكثيرين من الجائز أن ينحوا على الكنيسة الرومانية باللوم من أجل هذا، ولكن الحق أن البروتستانت لم يكونوا بأقل تحمسا في العمل ضد مبادئ العلم الحديث مما كان أضدادهم. فكل فروع الكنيسة البروتستانتية – لوثريون– وكلفينيون وأنغليكانيون قد تكاتفوا على مقاومة المذهب الكوبرنيكي، وهم يعتقدون أنه مناقض لنصوص الكتاب المقدس. وأخيرا انضم إليهم البيوريتانيون" Puritans سالكين مسلكهم متتبعين خطاهم. قال مارتن لوثر:" يصغى الناس إلى مُنجِّم مأفون يحاول أن يثبت أن الأرض تدور، وليس كذلك السماوات والأفلاك والشمس والقمر، ولا شك أن كل من يريد أن يحوز شهرة اللباقة والنهى، يحاول أن يبث مذهبا جديدا زاعما أنه أصح المذاهب وأصدق الحقائق، غير أن هذا الممسوس يريد اليوم أن يقلب قواعد علم الفلك رأسا على عقب في حين أن نصوص الكتاب المقدس تدل على أن "يوشع" قد أمر الشمس أن تقف ولكنه لم يأمر الأرض"[3].

توسعت الحركة العلمية ولم تتوقف واحتلت مكانة كبيرة بما أنتجته من مكتشفات ومخترعات نافعة، فتقلصت أمامها امتدادات سلطة رجال الإكليروس وانهزمت هزيمة منكرة، وهنا اعتبر الكثير ألا حاجة إلى الإله بل لا حاجة إلى الدين مطلقا، مستحضرين التاريخ اللاهوتي الطويل الذي عرقل مسيرة العلم وأخر سير الحضارة زمنا طويلا.

(1) انظر: بين الدين والعلم تاريخ الصراع بينهما في العصور الوسطى، أندرو ديكسون وايت، (28–48).
(2) بين الدين والعلم تاريخ الصراع بينهما في العصور الوسطى، (45).
(3) بين الدين والعلم تاريخ الصراع بينهما في العصور الوسطى، (38).

وقد اعترفت الكنيسة الكاثوليكية في الوقت العاصر بخطأ موقفها التاريخي من العلم لكن ذلك لا يعني أنها تساوقت مع العلم في نظرياته المعاصرة، بمعنى أنها ما زالت تحارب بعض صوره، يقول ريبوني: " اليوم لقد اعترفت الكنيسة الكاثوليكية بهزيمتها أمام مركزية الشمس والتطور، إلا أن ذلك لن يمحو أبدا حقيقة أنها حاربت بشدة دوران الأرض حول الشمس، ولا تزال تحارب اليوم النظريات والإنجازات العلمية التي لا تروق لها"[(1)]، وذكر لذلك أمثلة من محاربات الكنيسة لبعض المسائل العليمة، بل لا تزال الأسطورة الدينية أقوى لدى الكنيسة والمسيحيين من الحقيقة العلمية.

المبحث الثاني: الحصاد المر: فلسفات ما بعد العصور الوسطى والطريق إلى الإلحاد.

أفتتح هذا المبحث بمقولة لـ"لويد جورج" وفيها يقول:" لو جاء المسيح في لندن لم نتركه إلا في رقابة الشرطة، فإنه ربما يقف في الشارع واعظا، ويذكر بالله، ويدعو إليه، ويقطع على الناس أشغالهم ويستلفتهم ويضيع وقتهم الثمين، أو ينتقد الحكومة البريطانية البريئة الوادعة، أو المدنية الأوروبية المقدسة"[(2)]. هذه الكلمة تعبر الصبغة المادية وما صاحبها من توجه إلحادي في الغرب، وهذا هو التحول الجديد الناشئ كرد فعل على انتصار العلمانية على الكنيسة في العصور الوسطى، والذي نفصله في المطالب الآتية.

المطلب الأول: الموقف الغربي من الدين بعد عصر النهضة:

أنتجت ظروف الصراع بين الكنيسة وحركات التحرر في أوروبا فراغا فكريا وعقائديا يبحث عن بديل، سرعان ما ملأته فلسفات القرنين السابع عشر والثامن عشر، وما بعدهما وآل الأمر إلى تبلور الفكرة المركزية وهي (العلمانية أو اللادينية)، التي أخذت بيد الإنسان إلى المحطة الخطر وهي الإلحاد ومحاربة الأديان.

والعجيب أن "عصر الإيمان" حسب تقسيمات ول ديورانت، هو المتسبب المباشر والمنتج لذلك الإلحاد الذي تشكل في صور مختلفة، وكان هو القاسم المشترك الكامن في مضامين أكثر الفلسفات المتتابعة بعد عصر النهضة، وكان الهاجس المشترك لدى فلاسفة العلمانية والإلحاد على تنوع فلسفاتهم واختلافها هو تخوفهم من العودة إلى الحالة الدينية للكنيسة التي عانت منها أوربا من قبل، وخشيتهم من ضياع مكتسباتهم من الحرية والتخلص من أغلال الكهنوت.

ظهر الإلحاد واتخذ صورا واتجاهات شتى ما بين إنكار الله، أو الاعتراف به لكن بشكل مغلوط حيث رأته بعض الفلسفات إلها متطورا، وبعضها يجعل الطبيعة هي الله، وفلسفات أخرى أنكرت الدين كله وعادته بضراوة، وسعت في احتقاره والدعوة إلى الاستغناء عنه، أو محاصرته، وأخرى اعتبرته أفيون الشعوب.

---

(1) بين الدين والعلم تاريخ الصراع بينهما في العصور الوسطى، (27).

(2) الحضارة الغربية الوافدة وأثرها في الجيل المثقف، أبو الحسن الندوي، (33-34).

وفي سياقات فلسفية مختلفة ظهرت عبارات وصيغ وشعارات تعبر عن هذا التوجه مثل: (موت الإله، ووهم الإله، وخرافة الإله، وظهر من بعد ذلك الفكر الوجودي والعدمي والعبثي، ثم الحداثة ما بعد الحداثة، وما صحب ذلك من تيارات فكرية سعت لهدم كل ما هو دين).

ويأتي السؤال: من شتت أذهان البشرية وباعد بين عقولهم وقلوبهم وبين الإيمان؟ من حيَّر الناس بين مذاهب وفلسفات متناقضة متصارعة يأبى لاحقها قبول سابقها؟

من أوصل البشرية اليوم إلى أحط ما يتصوره عاقل دينيا وأخلاقيا وإنسانيا؟.

والجواب: إنها تلك الفلسفات التي جاءت كرد فعل تجاه الحالة الكهنوتية التي أظهرنا طرفا منها آنفا. وقد جاءت تصريحات غربية مهمة تؤكد ذلك منها:

يقول جفري لانج[1]: (في حين نجد أن الأجوبة التي قدمها الدين كانت ترضي أوربا الغربية عندما كانت غالبية سكانها من الأميين، نجد أن العقائد الدينية إنما تزيد الأزمة تعقيدا في العصور الحديثة وتنفر الكثيرين من الأخذ بأية اعتبارات روحية، فثمة من ينبذ الدين كلية وبعض ممن يبقون على بعض الصلات بعقيدة ما قد يجدون هذه العقيدة في صراع مع تفكيرهم العقلاني والنتيجة هي القذف دوما بالدين فوق الرف"[2]. ويقول محمد أسد: "إن المدنية الغربية لا تجحد الله البتة ولكنها لا ترى مجالا ولا فائدة لله في نظامها الفكري الحالي، لقد اصطنعت فضيلة من العجز الفكري في الإنسان، أي من عجزه عن الإحاطة بمجموع الحياة. وهكذا يميل الأوروبي الحديث إلى أن ينسب الأهمية العملية فقط إلى تلك الأفكار التي تقع في نطاق العلوم التجريبية، أو تلك التي ينتظر منها على الأقل أن تؤثر في صلات الإنسان الاجتماعية بطريقة ملموسة. وبما أن قضية وجود الله لا تقع تحت هذا الوجه ولا تحت ذاك، فإن العقل الأوروبي يميل بداءة إلى إسقاط الله من دائرة الاعتبارات العملية"[3].

كما يؤكد محمد أسد سببا من أسباب رفض الغرب للمسلك اللاهوتي والمضمون المسيحي بقوله: "لقد بقي الروح الأوروبي قرونا طولا يرزح تحت عبء نظام ديني يطوي في نفسه احتقار الحياة واحتقار الطبيعة"[4].، معتبرا أن الكنيسة حاربت بدينها عبقرية أوربا وكبتتها وأخَّرتها ‘‘لقد ثار الفكر الأوربي مرارا ولكن الكنيسة كانت تقهره مرة بعد أخرى، إن تاريخ العصور الوسطى مليء بهذا الكفاح المرير بين عبقرية أوروبا وبين روح الكنيسة"[5].ولعمق ما أفسدته الكنيسة يرى محمد أسد أن "النتائج السلبية التي خلَّفتها كنيسة العصور الوسطى كانت قد أصبحت أبعد

(1) جيفري لانج، أمريكي، ولد سنة 1954م، أسلم بعد أن كان ملحدا، بروفيسور مختص في الرياضيات. يعمل حاليًا في قسم الرياضيات في جامعة كنساس. نال شهادة الفلسفة من جامعة بيردو عام 1981، له كتب منها "الصراع من اجل الإيمان" و"حتى الملائكة تسأل".

(2) حتى الملائكة تسأل، جيفري لانج، (22-23).

(3) الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، (41).

(4) الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، (41).

(5) الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، (42).

أثرا من أن تُزال بإصلاح ديني"[1]. وأن الحضارة المدنية المادية في الغرب "لا تزال في واقعها وثنية مادية لا تؤمن بغير القوة"[2].

وبهذا فقدت أوربا الرشد في سيرها كما يقول محمد أسد:" أما السواد الأعظم في أوروبا فلم يكن يستطيع أن يهتدي إلى الاتجاه الصحيح بسرعة، بعد أن قضى ذلك الردح الطويل من الزمن سجينا لعقائد دينية لا صلة لها بجهود الإنسان الطبيعية، ...ومن أجل ذلك رفض هذه العقائد ورفض معها الدين أجمع"[3]، " ولما تحرر العقل الأوربي من عبوديته الأولى للكنيسة تخطى في القرنين التاسع عشر والعشرين تلك الحدود ووطد عزمه تدريجيا على العداء لكل شكل من أشكال السلطان الروحي على الإنسان، ومن ثنايا هذا الخوف الباطن، ولئلا تعود تلك القوى التي تدعي السلطان الروحي مرة ثانية إلى التغلب، أقامت أوربا نفسها زعيما بكل ما هو ضد الدين مبدئيا وعمليا، لقد رجعت أوربا إلى إرثها الروماني"[4]، وساد الاتجاه المادي فغدا دين (الأوروبي العادي سواء أكان ديمقراطيا أم فاشيا، رأسماليا أم بلشفيا، صانعا أم مفكرا– دينا إيجابيا واحدا هو التعبد للرقي المادي، أي الاعتقاد بأن ليس في الحياة هدف أخر سوى جعل هذه الحياة نفسها أيسر فأيسر، أو كما يقول التعبير الدارج "طليقة من ظلم الطبيعة"[5].

ويصرح مؤرخ الحضارة الألماني (بوركار) بكون الدين غدا في نظرهم أسطورة يجب التحرر منها بالكلية، وأن الفصل بين الدين والدولة والحضارة، من أهم الأمور للتحرر من الأسطورة، والأسطورة المقصودة هي الدين بلا شك. وغدت في أوربا ديانة جديدة "هياكل هذه الديانة إنما هي المصانع العظيمة ودور السينما والمختبرات الكيماوية وباحات الرقص وأماكن توليد الكهرباء، وأما كهنة هذه الديانة فهم الصيارفة والمهندسون وكواكب السينما وقادة الصناعات وأبطال الطيران، وإن النتيجة التي لا مفر منها في هذه الحال هي الكدح لبلوع القوة والمسرة"[6].

أمريكا وموقفها من الدين:

لم تقف أوربا وحدها هذا الموقف الرافض للدين وإنما شاركتها أمريكا كذلك في الموقف ذاته، على الرغم من اختلاف نسبة التدين بينهما، يقول جيفري لانج:" لقد وصلت أمريكا إلى مرحلة عدم الثقة بالعقائد والقناعات وأسلمت نفسها إلى نوع من العدمية "Nihilism"" أو إلى ما يصفه عالم الاجتماع السياسي فرانك فيوردي (furedi fran) الليبرالية الملتبسة النسبية (erlatif noncommittal liberalism)، فالأمريكيون لم يكونوا ليتجاهلوا ما كان يقوله المسلمون فحسب، بل كانوا ممتعضين من الطريقة التي يتحدث بها هؤلاء. إن معظم الأمريكيين يعتقدون أن الدين

(1) الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، (46).
(2) الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، (43).
(3) الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، (46).
(4) الإسلام على مفترق الطرق ص 64.
(5) الإسلام على مفترق الطرق ص 69.
(6) الإسلام على مفترق الطرق ص 49.

مسألة خاصة (private matter) وليس أمرا يتوجب على المرء إعلانه، ومن ثم فهو ليس موضوعا مناسبا للحوار على الإطلاق"[1].

المطلب الثاني: التوجه الإلحادي في الفلسفات الغربية في مرحلة ما بعد المسيحية.

وأقصد بما بعد المسيحية تلك المرحلة التي تلت العصور الوسطى بدءا من عصر النهضة إلى يومنا هذا- وبالأخص القرنين الثامن عشر والتاسع عشر-، حيث انفرط عقد الديانة المسيحية وتقلصت مساحات هيمنتها ووجودها، بسبب المساحات التي احتلتها العلمانية الجديدة، والتي شكلت بديلا قويا تقبلته أوربا كرد فعل لما قامت به الكنيسة، سقطت به مرجعية الدين المسيحي في الجملة، ويمم الأوروبي وجهه شطر المرجعية الفلسفية سواء أكانت عقلية يونانية قديمة أو حديثة، أم كانت تجريبية مادية، أو فلسفة وضعية حديثة، وتوزع الإنسان الغربي بين أنواع وتوجهات شتى من الفلسفة كان أغلبها إن لم يكن كلها مفضيا إلى القطيعة مع الله ومع الدين.

يقول توفيق الطويل:" إن التفكير الفلسفي قد نضج أيام اليونان، لقد شادوا فلسفة ضخمة في وقت كانت فيه حرية الفكر مكفولة لكل مفكر ثم ركدت ريح الفلسفة — المستقلة عن الدين- وجمدت تياراتها في العصور الوسطى، حينما اجتاح فيها نفوذ السلطات الدينية حرية التفكير، وشل حركة العقل وأوقف نشاطه، وهمَّ العقل المستقل بأن يستيقظ في أواخر تلك العصور — حين طال سباته، وكان هذا في وقت ظهرت فيه محاولات التحرر من السلطات الدينية. وكلما تخلص من سيطرة هذه السلطات واتسعت آفاق حريته العقلية كان تفكيره أتم وأكمل وأكثر نضجا. ومعنى هذا أن السلطات الدينية حين تهيمن على عقول المفكرين، وتفرض رقابتها الجائرة على تفكيرهم تشل حركة العقل أو تضعف من قدرته على الإنتاج على أقل تقدير. واستقراء تاريخ العلم والدين يقول: إن رجال اللاهوت المتعسف عند المسيحيين، وغلاة المتعصبين من المسلمين أولئك الذين أبوا إلا أن يحجروا على تفكير الناس، ويقيموا أنفسهم أوصياء على عقولهم قد أساءوا إلى الدين وتعاليمه السمحاء بمقدار ما أساءوا إلى الفلسفة والعلم معا". [2]

وبهذا توفر في الوجود الأوربي " جناح جذري يسير في العقل إلى ما لا نهاية ويثق في العلم بلا حدود، ولا يقبل أي مساومة مع القديم، ولا يحاول تبريرا لبقاياه، ولا يضيره أن يصطدم مع التقاليد والمعتقدات والأفكار المسبقة، ولا يخاف من اتهامه بالإلحاد أو الكفر او المروق على الدين، ويظل دائما شوكة في جنب المحافظة والسلفية، وهو التيار الذي يمثله ريماروس في القرن الثامن عشر في ألمانيا وفلاسفة التنوير وعلى رأسهم فولتير في فرنسا، ومن قبله سبينوزا في القرن السابع عشر، ومن بعده شتراوس ورينان في القرن التاسع عشر، وهو ما يسمى النقد الجذري الراديكالي أو البروتستانتية الحرة"[3]، ولم يمنع ظهور هذا الاتجاه من وجود اتجاه على الجانب الآخر يحاول مقاومة :" انحطاط الكنيسة وفساد رجالها، مع الإبقاء على الدين المسيحي كما ورد في الإنجيل"[4]، لكنه لم يصمد أمام قوة التيار

(1) حتى الملائكة تسأل (322).

(2) قصة النزاع بين الدين والفلسفة، توفيق الطويل (7) مكتبة الآداب – القاهرة، 1947م

(3) تربية الجنس البشري، لسنج، (17) ترجمة وتقديم وتعليق د حسن حنفي، ط الثانية، 2006م، دار التنوير، بيروت- لبنان.

(4) قصة النزاع بين الدين والفلسفة، توفيق الطويل (142).

العاتي المناوئ للدين والذي أحل العلم محل الدين، والإنسان محل الإله، وبهذا التوجه اضمحلت الروح والقيم، الأمر الذي أزعج بعض علماء أوربا وأمريكا وجعلهم يحذرون من سقوط الحضارة الغربية لافتقادها المعاني الروحية وإهمالها القيم الروحية.

وظلت قيم المادة والإنتاج والصناعة والرأسمالية، وغطرسة القوة والهيمنة هي الصوت الأعلى على الرغم من كل تلك التحذيرات.

والمؤسف محاولة الغرب فرض ثقافته اللادينية على العالم من خلال فكرة العولمة، وعبر المؤسسات الدولية التي أسسها، معتمدا في ذلك على قوته التكنولوجية والعسكرية، إضافة إلى ضعف العوالم الأخرى التي يحاول فرض هيمنته عليها. فأثرت تلك الأفكار والفلسفات الوافدة في عقول الأجيال المعاصرة، فظن المتغربون من المسلمين أن الموقف الأوروبي من الدين المسيحي هناك ينبغي أن يُتَّخذ مثله من الإسلام، وأن استقبال العلمانية في بلادنا يجب أن يكون بنفس الحماسة التي استقبلها بها الإنسان الأوروبي هناك، متغافلين الفروق الهائلة بين الديانتين، والسياق المختلف عن سبب التخلف هنا وسبب التحضر هناك. وبهذه الغفلة أو التغافل نادوا بفلسفات كثيرة لتحل محل الدين، فكان هؤلاء المتغربون أبواقا لظاهرة الإلحاد في ديار الإسلام.

لقد كانت العلمانية هي المظلة الأوسع التي ترعرعت في كنفها كافة الفلسفات الإلحادية، فباضت وفرخت في ظلها وتحت رعايتها.

ولنلق الضوء بإيجاز على التوجهات الإلحادية التي تشبعت بها فلسفات ما بعد العصور الوسطى المعاصرة والحديثة، فالمدرسة العقلية في الفلسفة من المتفق عليه أنها تؤكد مرجعية الإنسان، ومركزية عقله، ولا تعترف إلا بمقرراته، مع رفض كل ما كان من قبيل الغيبيات، وإهدار مرجعية الدين التي عاني منها الغرب من قبل. يقول محمد إقبال: " ففي ألمانيا ظهر المذهب العقلي لأول عهده حليفا للدين، ولكن سرعان ما تبين أن الجانب العقدي (Domatic) من الدين لا يمكن الاستعانة بالحواس للبرهان عليه، فكان الطريق الوحيد إذا أن تمحى العقيدة الدينية من سجل المقدسات، ما أخلى الساحة لمذهب المنفعة في فلسفة الأخلاق، وبذلك مكن المذهب العقلي من سيادة الإلحاد"[(1)].

وأما المدرسة التجريبية، فقد قرر تودوروف رفض أي سلطة خارجية تتجاوز العقل والتجربة مبينا أن أهم الأصول والأسس التكوينية لفكر الأنوار تتمثل في تفضيل ما نختاره ونقرره بأنفسنا على ما تفرضه علينا سلطة خارجة عن إرادتنا، وأنه ليس لأي سلطة مهما كانت راسخة أو محترمة أن تبقى في مأمن من النقد، وأن ليس للمعرفة سوى مصدرين هما العقل والتجربة، ثم ركز على مصطلحين هما التحرر والاستقلال وبهما لن تكون أية عقيدة او سلطة بمنأى عن النقد والتشكيك بحيث لا يبقى لأي عقيدة أو مؤسسة قدسية.[(2)]، وبهذه الروح أصبح الدين في مرمى التجريبيين والعقلانيين، حيث وقف عاريا من أي تقديس أو حصانة.

(1) محمد إقبال، تجديد الفكر الديني (15)، ط الثانية، مركز الناقد الثقافي، 2010، دمشق سوريا.

(2) انظر/ روح الأنوار، تزفيتان دودوروف (10)، تعريف حافظ قويعة، ط الأولى، 2007م، دار محمد علي للنشر، تونس

وفرنسيس بيكون رائد ومؤسس المذهب التجريبي يعتبره البعض ملحدا لأنه " أصر على استبعاد أيه تفسيرات لاهوتية أو غيبية عند دراسة الظواهر وتمحيصها"، واعتباره أن الدين حقيقة لا تنهض على العقل وإنما تعتمد على الوحي والإلهام فقط، وأكد هذا الحكم على بيكون أنه كان دائب الشك في جدوى المعرفة النظرية التي لا طائل تحتها، واعتبر الدين من هذا القبيل النظري [1].

وأما الليبرالية "فبرتراند رسل" يكفي أن نحيل القارئ إلى أشهر كتابين له وهما " أثر العلم في المجتمع، وكتابه "لماذا لست مسيحيا"، لندرك موقفه الحادَّ ضد الدين، وربما نلتمس له العذر في موقفه هذا، حيث أبان له اهتمامه بالعلم ذلكم الكم لهائل من الخرافات والمعتقدات اللاعقلانية في الكتاب المقدس، وقد ساق على ذلك أمثلة كثيرة أثبت العلم خرافيتها وبطلانها على الرغم من كونها مدونة في نصوص العهد القديم[2]، وفي كتابه" لماذا لست مسيحيا يقرر أن الدين كل الدين شيء مؤذي فيقول :" لقد انتشرت شائعة في الأيام الأخيرة مفادها أنني أصبحت أقل معارضة للتمسك بالدين عما كنت في السابق. هذه الشائعة لا أساس لها من الصحة على الإطلاق، إنني أظن أن كل الأديان الكبرى في العالم –البوذية، الهندوسية، المسيحية، الإسلام، والشيوعية– هي غير صحيحة ومؤذية على حد سواء"[3]، وتأتي كافة موضوعات الكتاب في سياق نبذ الدين وبيان عدم جدواه.

وعن التوجه الإلحادي في المذهب الإنساني، نرى أنه مذهب أحل الإنسان في المركز محل الإله، واعتبر الإنسان هو معيار الحقيقة، وقد تصور الإنسانيون أن الدين طارئ على الحياة فأرادوا أن يعيدوا الإنسان إلى ماضيه قبل الأديان ليتخلصوا من ربقة الكنيسة وقيودها الدينية.

وأعلام هذه المدرسة المنشرة في الغرب كلهم ملحدون أو لا أدريون أمثال الثائر الهندي م. ن روي (1887–1954م) من كبار الملحدين سجل مذهبه في كتابه (المادة)، ودافع عن المذهب المادي، وكورليس لامونت (1902م)الذي كتب كتابه (فلسفة المذهب الإنساني) دافع فيه كذلك عن المذهب المادي وكان من أشهر فلاسفة الإلحاد في أمريكا، وكذلك العالم ج .ب.س هولدين (1892) سجل مذهبه الإلحادي المادي في كتابه (العلم والحياة)، وكارلتنزديتشنر (1924)، حيث كتب مع رفاقه كتابه (لماذ أنا مسيحي / ملحد/ لا أدري) سجل فيه أسباب إلحاده، وغير ذلك عشرات من رواد هذا المذهب الذين كتبوا عشرات الكتب كلها في الإلحاد ومحاربة الأديان والألوهية[4].

وأما التوجه الإلحادي في المدرسة الوجودية. فننقل هنا ما قول حسن حنفي "يبدو أن عصر النهضة بعدما تحول من التصور المركزي حول الإله THEO CENTRISM إلى التصور المركزي حول الإنسان

(1) انظر/ الإلحاد في الغرب (57–59).

(2) انظر/ أثر العلم في المجتمع، برتراند رسل، المحاضرة الأولى بعنوان (العلم والتقاليد (19–30)، ترجمة: صباح الدين الدملوجي، ط الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية– بيروت – 2008،

(3) لماذا لست مسيحيا، برتراند رسل، (11)، ترجمة: عبد الكريم ناصيف، ط الأولى، دار التكوين، دمشق – بيروت، 2015،

(4) لمزيد من الاطلاع على أسماء هؤلاء وكتبهم انظر/ ملحدون محدثون ومعاصرون رمسيس عوض (49–52).

ANTHOROPCENTRISEM انتهى إلى خسارة الاثنين معا، فقد الله أولا بلا إنسان، ثم أصبح الإنسان بلا ثانيا بلا إله، وفي كلتا الحالتين ضاع الإنسان لغيابه أولا، ثم لحضوره وحيدا ثانيا"[1]. وتحول ما بعد عصر النهضة من الإله على الإنسان يعبر عنه الفكر الوجودي تعبيرا قويا يظهر ذلك في فكر سارتر أكثر من غيره من الوجوديين وإن اشتركوا في الفكرة ذاتها.

والمدرسة النفعية في الفلسفة اتجهت كذلك اتجاها مضادا للدين، يظهر ذلك جليا من فلسفة "ميكافيللي"، التي قرر فيها أن الوثنية أفضل من المسيحية، لأنها كانت تحث على القوة بينما المسيحية تدفع إلى الضعف والهوان، كما انتقد رجال الكنيسة بسبب سوء سلوكهم الذي يقضي على إيمان الناس. فيقول:" كلما اقترب الناس من كنيسة روما التي تمثل قمة الدين عندنا قل تدينهم، إن التدمير الذي سوف يلحق بالكنيسة والثأر منها وشيك الحدوث، ويرجع السبب في تدهور الإيطاليين الديني والأخلاقي إلى سوء ممارسة كنيسة روما وقساوستها والأسوأ من هذا كله أن السياسة التي تتبعها الكنيسة الرومانية والمتمثلة في تقسيم البلاد سوف تكون وبالا علينا وسببا في خرابنا"[2]، ولا يفهم مباشرة من كلامه هذا أنه كان رافضا للدين ككل بل إنه يرى أن الوثنية بمعتقداتها الدينية تمجد القوة والأبطال فتكون سببا في تحرير بلادها وتوحيدها بدلا من المسيحية الضعيفة التي لا يرى فيها أملا لتحرير بلاده (إيطاليا) أو توحيدها. لكنه في النهاية يستعمل الدين كوسيلة برجماتية للسيطرة والهيمنة لا لكونه شيئا شريفا في ذاته.

وقد تتابع الكثيرون من فلاسفة الغرب في توسيع دائرة الإلحاد بصورة جلية منذ عصر النهضة فهذا الفيلسوف شارون يكتب كتبا ومقالات يقول فيها:" بتعارض الإيمان مع العقل، وينكر وجود أية قيم عامة تسود جميع البشر، كما أنه يعلي من شان الحيوان على الإنسان ويصف الدين بأنه مجرد خزعبلات وينبذ الوعظ والتبشير ومحاولة إنقاذ الخطاة من الهلاك"[3]

واما ديكارت فمع أنه شك وتوصل من خلال الشك إلى إثبات وجود الله إلا أن الشك كقضية تسببت في شكوك الكثيرين في الدين وانقلبوا عليه أعداء، ممن لم يحسنوا منهجية ديكارت.

وجورج سنتيانا الأسباني الذي ولد 1863م وتخرج في جامعة هارفرد، قد كتب كتابات في الفلسفة قال عنها ول ديورانت:"إنه لم يحدث أن شاهدت الفلسفة منذ عهد أفلاطون ما شهدته على يدي سنتيانا"[4]، قرر سنتيانا في خلاصة أفكاره "أن الدين قد يكون خرافة لا تستند إلى منطق مستقيم ولكنها خرافة تنطوي على الخير طالما أنها تصلح من شان الحياة التي نعيشها"[5]. ويبدو أنه كان لا أدريا، حيث كان يعتبر الدين أكذوبة جميلة فهو

(1) الوجودية الدينية، دراسة في فلسفة بأول تيليشن، يمنى الخولي، (13)، مؤسسة هنداوي، 2017.

(2) الإلحاد في الغرب رمسيس عوض (50).

(3) الإلحاد في الغرب (55).

(4) ملحدون محدثون ومعاصرون (35)

(5) ملحدون محدثون ومعاصرون (35)

القائل:"إنني أصدق المذهب الكاثوليكي رغم علمي أنه مذهب كاذب" ويعتبر" أن الإيمان بالله غلطة جميلة أكثر ملاءمة لنوازع النفس من الحياة في ذاتها"[1]

و"برتراند رسل" في أواخر القرن التاسع عشر وهو من أشهر فلاسفة أوربا (1872- 1970) من أشهر دعاة الليبرالية في العلاقات بين الجنسين، ومن رواد الفلسفة التحليلية، ألقى محاضرة سنة 1927 بعنوان (لماذا لست مسيحيا)، عبر فيها عن أسباب إلحاده التي جعلته يترك المسيحية وهي: "أنه لا يؤمن بالله والخلود، ثانيا: أنه لا يعتبر المسيح أفضل الأشخاص"[2].

وأما عن الفلسفة الوضعية فالتوجه الإلحادي فيها ظاهر من حيث كونها لا تؤمن بأي غيبيات، ولا تقبل إلا ما كان داخلا في نطاق المعقول، فأوجست كونت وسان سيمون روجا لفكرة نبذ الغيبيات واحتقار الدين، وشهرتهما الإلحادية تغني عن سرد مقولاتهما في ذلك.

وعن التوجه الإلحادي في الفكر الماركسي، فأشهر من أن نتعرض لبيانها، حيث كانت العنوان الأكبر للإلحاد في القرن العشرين، وقامت دولة كبرى للماركسية والإلحاد تنشره وتحميه، وتتوجه في استئصال الدين توجها لا نظير له في التاريخ، وبخاصة الدين الإسلامي، كما فعل الروس مع مسلمي الجمهوريات الإسلامية.

وقفتان ضروريتان قبل الختام.

الوقفة الأولى: الإلحاد المعاصر وعلاقته بالفلسفات الحديثة والمعاصرة:

كان إلحاد ما بعد ما بعد العصور الوسطى الناشئ الفلسفات الأوربية، في أغلبه عقلانيا أكثر منه علميا تجريبيا، وانحصر غالبا في النخبة المتفلسفة، لكنه اليوم اصطبغ مع العقلانية بصبغة العلمية، وتحول من تيار نخبوي إلى تيار شعبي ينتحله الشباب والعامة في أوربا والغرب بعامة، والسبب- برأيي- في هذا التحول في طبيعة الإلحاد تلك النهضة التكنولوجية الهائلة، وما صحبها من وسائل غدت متوفرة بين أيدي الجميع تنقل الأفكار عبر ما سماه أنطونيو غرامشي "الهيمنة الثقافية" للغرب.

وكان من الممكن محاصرة الإلحاد ما دام في إطاره النخبوي، لكنه اليوم في إطاره الشعبي العام يصعب مقاومته، وبخاصة في الغرب حيث لا عودة مرة أخرى إلى المسيحية كما عبر عن ذلك من قبل محمد أسد وجيفري لانج وغيرهما.

والخطير في الأمر أن الإلحاد في السياق العربي والإسلامي المعاصر تشكل على نفس المواصفات المذكورة فأصبح شائعا خارج سياق النخب، وادعى اعتماده على العلم وغدا يروج له عبر وسائل التواصل وطرق الإعلام الحديثة، ثم تهيأت لانتشاره الظروف السياسية والاقتصادية الإقليمية والعالمية.

(1) ملحدون محدثون ومعاصرون (36).

(2) ملحدون محدثون ومعاصرون (52).

الوقفة الثانية: الخطاب الإسلامي وضرورة إعادة البناء.

وبعد أن بابن لنا من خلال البحث كيف كان الخطاب الديني المسيحي سببا رئيسا ومباشرا في ظهور العلمانية ومضامينها الإلحادية، غدا من المهم بالنسبة لنا أن نستفيد من هذا الخطأ، ونتسائل: هل يمكن أن يكون نوع من الخطاب الديني الإسلامي اليوم سببا في انتشار الإلحاد بين المسلمين بخاصة فئة الشباب؟

وننقل هنا كلاما وجيها لمحمد أسد يؤكد فيه من خلال رؤيته الواسعة لأحوال العالم الإسلامي، مستحضرا التاريخ الأوروبي وكيف كان الخطاب الكنسي الذي قدمه رجال الإكليروس سببا مباشرا في الإلحاد ورفض الدين، ويحذر من تقديم الدعاة والفقهاء المسلمين الدين الإسلامي بصورة منفرة ربما تؤدي إلى ما أدى إليه الخطاب الكنسي، وتوجه الجماهير إلى مثل ما توجه إليه الأوربيون يقول محمد أسد:" لقد كان العالم الإسلامي زمنا ما راكدا: فقفز كثير من المسلمين إلى الاستنتاج السطحي الخالص من أن النظام الإسلامي في الاجتماع والاقتصاد لا يتفق مع مقتضيات التقدم، فيجب من أجل ذلك أن يحور على حسب الأسس الغربية. هؤلاء الناس "المتنورون" لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن مدى التبعة التي يتحملها الإسلام، على أنه عقيدة في تأخر المسلمين. ثم إنه لم يُتح لهم أن يروا موقف الإسلام الحقيقي، أي كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، ولكنهم اكتفوا من ذلك كله بأن رأوا أن تعاليم فقهائهم المعاصرين كانت سدا منيعا في وجه الرقي ووجه التقدم المادي. ثم إنهم بدلا من أن يولوا أبصارهم نحو المصادر الأصلية في الإسلام اعتبروا ضمنا أن الشريعة والفقه المتحجر في أيامنا هذه شيء واحد، وقد وجدوا أن الثاني ناقص من عدة وجوه ففقدوا بالتالي كل اهتمام عملي بالشريعة وأحالوها إلى حقل التاريخ والمعرفة المدفونة في الكتب. ثم بدا لهم أن تقليد المدنية الغربية هو المخرج الوحيد من ورطة الانحلال الإسلامي. أما التبعة فيما وصل إليه المسلمون من تأخر فتقع على عاتق العلماء والشباب المثقفين وعلى عاتق القادة الذين يتاجرون بالدين وبالبلاد، وليس لأحد من هؤلاء أن يتنصل من هذه التبعة، فكلهم مسئولون عن تأخر المسلمين الاقتصادي والسياسي والعلمي في كل مكان"[(1)].

ومع ضعف العلم الشرعي، وفشو الجهل بالدين، وما صحب ذلك من أحداث سياسية أسقطت رموزا إسلامية من أعين الجماهير في مواقف مختلفة، انتقل العقل المسلم وبخاصة عقول الشباب إلى اتهام الدين نفسه، ورأي البعض أن الحل هو "العلم"، لا الدين، وبعضهم نادى بالإنسانية دون الدين وغير ذلك من ألوان الانحرافات العقدية المعاصرة.

وهنا لابد من ضبط الخطاب الإسلامي بموازين "البلاغ المبين" تجنبا لآثار سيئة محتملة سنعاني منها إن فرطنا في ذلك، وحتى نضيف شيئا عمليا في هذا الموضوع يمكن الإفادة منها، لابد من إثارة هذه المسائل التي ينبغي رعايتها في الخطاب الإسلامي:

أولا: التحذير من شيوخ السلطان فإنهم يقدمون صورة سيئة عن الإسلام، لانحيازهم إلى الظالمين ضد المصلحين، وتبريراتهم للمستبدين ضد المطالبين بالتحرر، وافتقادهم معاني القدوة في أنفسهم حيث باعوا دينهم بدنا غيرهم،

(1) الإسلام في مفترق الطرق محمد أسد (81-82).

ويشكلون صدمة نفسية للجماهير، فينعكس ذلك كله في نفوس الناس على الدين نفسه، وقد رصد هذه الظاهرة ابن القيم فقال:" عُلَمَاء السوء جَلَسُوا على بَاب الْجنَّة يدعونَ إِلَيْهَا النَّاس بأقوالهم ويدعونهم إِلَى النَّار بأفعالهم فَكلما قَالَت أَقْوَالهم للنَّاس هلمّوا قَالَت أفعالهم لَا تسمعوا مِنْهُم فَلَو كَانَ مَا دعوا إِلَيْهِ حَقًّا كَانُوا أول المستجيبين لَهُ فهم فِي الصُّورَة أدلاء وَفِي الْحَقِيقَة قطّاع الطّرق"(1).

ثانيا: ضرورة اطلاع العلماء والدعاة على النوازل الفكرية المعاصرة، ومعرفة خلفياتها الفلسفية، والدراية، بما في أيدي الشباب اليوم من تقنيات حديثة ووسائل تواصل ومعرفة مدى تأثيرها فيهم، وإعداد خطاب ديني عقلاني مقنع منطلق من رؤية واطلاع حقيقي على تلك الأفكار والوسائل بدلا من الاكتفاء بمجرد الهجوم عليها ولعنها وسب أصحابها عبر خطاب عاطفي لا يقنع العقل ولا يشبع الفكر.

ثالثا: التركيز على الأصول والقوانين والمعايير الإسلامية الضابطة للعقل المسلم بدلا من إغراق الجماهير في تفاصيل الفروع والمسائل، فلابد من التركيز على الحديث عن القوانين والسنن الإلهية التي تحكم هذا الكون، وضرورة ضبط المرجعية لدى الجماهير بحيث يرجع المسلم في شأنه كله إلى الوحي، ومع "المرجعية" لابد من بيان المنهجية الصحيحة في التعامل مع تلك المرجعية، فمشكلة الإلحاد تكمن في أحد أمرين إما فقدان المرجعية، وإما التخبط في المنهجية.

رابعا: بيان أن الاتجاهات المتطرفة في الفكر والعمل لا تعبر عن الإسلام مهما علا شأنها وذاع صيتها بفعل وسائل الإعلام المغرضة التي تقدم هؤلاء على أنهم نماذج تصلح للاقتداء.

خامسا: ترك كل ما لم يصح عن الله تعالى ورسوله، لتقديم خطاب نقي يعتمد على ما صح وما في حكمه، وتنقية الخطاب الإسلامي من الخزعبلات والحكايات الأسطورية والأحاديث الضعيفة والروايات الموضوعة والقصص المكذوبة، فالروايات غير الصحيحة والقصص الواهية تؤثر بالسلب في بناء العقل المسلم.

سادسا: ضبط الحديث في الإعجاز العلمي والتنبيه على عدم جواز تفسير نصوص إلا ما اتفق على كونه حقيقة جاوزت مرحلة الفرض العلمي والنظرية العلمية.

سابعا: الاستفادة من علم مقارنة الأديان في الخطاب الدعوي، إذ يسهم في إظهار محاسن الإسلام، وبيان حفظ الله تعالى له، كما تظهر به ما أصاب الأديان الأخرى من عطب.

ثامنا: ضرورة بيان الموقف الإسلامي المتكامل والمتوازن بين الثنائيات كالوحي والعقل، والدين والعلم، والمرأة والرجل، والفرد والجماعة، والسلطة والشعب، والدنيا والآخرة ...إلخ.

تاسعا: التركيز على "نظرية المعرفة الإسلامية"، وبيان أن للإسلام خاصة في المعرفة تخالف الكثير مما عليه الفلاسفة وآراء البشر، فكثير من الخلل العقدي المعاصر إنما كان سببه نظرية في المعرفة غير إسلامية.

عاشرا: الحث على العلم، واحترام العقل، والمناداة بحقوق الجماهير والوقوف مع قضاياهم ضد ألوان الظلم وهضم الحقوق.

(1) الفوائد، لابن القيم (85)، ت: محمد عزير شمس، ط وزارة الأوقاف القطرية، 2016م.

النتائج:

- التفلسف لا يعني بالضرورة الإلحاد، والتدين لا يمنع الابتكار والإبداع، متى كان التفلسف منهجيا، ومتى كان الدين الذي يقوم عليه التدين صحيحا.
- جاء عصر النهضة بحركة عنيفة للتحرر من الدين، ثم نمت تلك الحركة عبر فلاسفة عصر التنوير مرورا بالفلسفات الحديثة والمعاصرة.
- لست مع معاداة الوحي ولو كان محرفا، فإن بقايا الدين خير من النزوع نحو الإلحاد ومحاربة الأديان، والخضوع للأهواء والنزعات الشيطانية، وقد جعل الله تعالى أهل الكتاب أقرب إلى أمة الإسلام من المشركين الذين لا يؤمنون.
- ساعد التحريف الذي وقع في المسيحية واليهودية في ثورة أصحاب الأهواء على الدين والوقوف ضده.
- انطلاق الكثير من فلاسفة الإلحاد الغربيين بدءا من عصر النهضة وحتى يومنا نحو العمليات العقلية المحضة دون اهتداء بمرجعية دينية، معتبرين العقل أو الإنسان وحده مركز هذا الكون أفضى إلى تلك الحالة الإلحادية الفجة غير الخجلة ولا المتوارية.
- الخطاب الديني الذي يهمل العقل، ويحارب الفكر، ويدير ظهره لحقائق العلم، ويفرض على الناس تحت أي سطوة غير سطوة الضمير والاقتناع دون إكراه، هو خطاب خطير يأتي بنتائج غير محمودة سواء كان خطابا إسلاميا أو غير إسلامي.
- فلاسفة الإلحاد بالغوا في محاربة الدين ولم ينته أمرهم إلى إنكار اللامعقول منه، بل أنكروا معقوله ولا معقوله.
- وجدت محاولات قوية في الغرب منذ عصر النهضة تقاوم بشدة تلك التيارات الإلحادية، وتحاول إثبات صحة الدين، جاهدة في التوفيق بين العلم والدين، مؤكدة أنه يمكن للمرء أن يكون فيلسوفا ووفيا لدينه في ذات الوقت.
- اختلفت صور الإلحاد الجديد وطبيعة مضامينه والمعتنقين له والمنادون به إلى حد كبير عن الإلحاد الفلسفي العقلاني الذي كان إلحاد نخبة.
- ضرورة تحصين الخطاب الإسلامي من المزالق التي وقع فيها الخطاب المسيحي ولا يزال، حتى لا يؤول الموقف من الدين كما آل أمر الغرب.

المراجع:

1. ملحدون محدثون ومعاصرون، د رمسيس عوض، ط الأولى، ط سينا للنشر، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لندن، القاهرة1998.
2. نهاية الإقدام في علم الكلام، عبد الكريم الشهرستاني، حرره وصححه ألفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، ط الأولى 2009، القاهرة.

3. منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة والقدرية، أحمد بن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط الأولى 1406هـ.
4. قاموس المطلحات الكنسية، للقمص تادرس يعقوب ملطي، كتاب إلكتروني متوفر بموقع: https://coptic-treasures.com.
5. الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، سينا للنشر، دار الانتشار العربي، القاهرة ط الأولى 1997م.
6. اللاهوت المقارن الأنبا شنودة ط الثانية مطبعة الأنبا رويس – 1992 القاهرة.
7. الأصول الوثنية للمسيحية، اندريه نايتون، وإدغار ويند، وكارل غوستاف يونغ: سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.
8. الدين الطبيعي، جاكلين لا غريه، تحقيق منصور القاضي، ط أولى 1413هـ- 1993م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت لبنان.
9. قصة الحضارة ول ديورانت، ط بيروت ح تونس، بدون.
10. حياة الحقائق، جوستاف لوبون، ت: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012م.
11. فريدريش نيتشه، نقيض المسيح، مقال اللعنة على المسيحية، ترجمة علي مصباح، منشورات الجمل، بيروت، ط الأولى، 2011.
12. زينب عبد العزيز، الإلحاد وأسبابه، الصفحة السوداء للكنيسة، ط الأولى دار الكتاب العربي – دمشق – القاهرة، 2004.
13. بين الدين والعلم تاريخ الصراع بينهما في العصور الوسطى، أندرو ديكسون وايت، ترجمة إسماعيل مظهر مؤسسة هنداوي القاهرة، 1930.
14. الحضارة الغربية الوافدة وأثرها في الجيل المثقف، أبو الحسن الندوي
15. حتى الملائكة تسأل، جيفري لانج، (22-23)، ترجمة منذر العبسي، ط الخامسة- 2001م دار الفكر دمشق- بيروت.
16. الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ت: عمر فروخ، ط دار العلم للملايين، بدون.
17. تربية الجنس البشري، لسنج، ترجمة وتقديم وتعليق د حسن حنفي، ط: الثانية، 2006م، دار التنوير، بيروت- لبنان.
18. قصة النزاع بين الدين والفلسفة، توفيق الطويل، مكتبة الآداب – القاهرة، بدون.
19. محمد إقبال، تجديد الفكر الديني ط الثانية، مركز الناقد الثقافي، 2010، دمشق سوريا.
20. روح الأنوار، تزفيتان دودوروف، تعريف حافظ قويعة، ط الأولى، 2007م، دار محمد علي للنشر، تونس

21. أثر العلم في المجتمع، برتراند رسل، المحاضرة الأولى بعنوان (العلم والتقاليد، ترجمة: صباح الدين الدملوجي، ط الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية– بيروت – 2008،

22. لماذا لست مسيحيا، برتراند رسل، ترجمة: عبد الكريم ناصيف، ط الأولى، دار التكوين، دمشق – بيروت، 2015،

23. ملحدون محدثون ومعاصرون، رمسيس عوض، ط الأولى 1998م، سينا للنشر القاهرة– مؤسسة الانتشار العربي.

24. الوجودية الدينية، دراسة في فلسفة بأول تيليشن، يمنى الخولي، مؤسسة هنداوي، 2017.

25. الفوائد، لابن القيم الجوزية، ت: محمد عزير شمس، ط وزارة الأوقاف القطرية، 2016م.

References:

-Modern & Contemporary Atheists, **A**uthor: Dr. Ramsis Awad, first edition. Sina Publication House, The Arab Publication Foundation, Beirut, London, Cairo, 1998.

-"*The End of Audacity in Theology"*, Author Abdul Karim Ashahrastani, edited and revised by Alfred Giom, Religious Culture Library first edition, 2009, Cairo.

-"*The Prophetic Sunna Platform in the Criticism of Shiite and Fatalists*", Author: Ahmed ibn Taimiyah, translated by Mohammad Rashad Salem, Cordoba Foundation, first edition, 1406 AH.

-"Ecclesiastical Dictionary", Author: Archpriest: Tadros Yacob Malti, e-book available in: **https://coptic-treasures.com.**

-Atheism in the West", author: Ramsis Awad, Sina Publication House, the Arab Publication House, Cairo, first edition, 1997 AD.

-"*Comparative Theology*", Author: Bishop Shenouda, Bishop Rowess Printing House, 1992, Cairo.

- "*Comparative Theology*, *The Pagan Origins of Christianity*", Authors: Andre Niton, Edgar Wind, and Carle Gustav Young,
Samira Azmy Ezein, Publications of the International Institute for Humanities.

- "*Natural Religion*", Author: Jacqueline La Ghri, investigation by Mansour Al-Qadi, first edition, 1413AH-1993AD, University Foundation for Studies and Publishing, Beirut, Lebanon.

- "*The Story of Civilization"*, Author: Well Durant, Beirut edition, copyright Tunisia, none.

- *"Life of Realities"*, Author: Gustave Le Bon, translated by Adel Zuaiter, Hindawi Foundation, Cairo, 2012 AD.

- Friedrich Nietzsche: "*Anti-Christ*", an article on cursing Christianity, translated by Ali Mesbah, Jammal Publications, Beirut, first edition, 2011.

- Zeinab Abdel Aziz, "*Atheism and its Causes*" the Dark Chapter of the church, first edition of the Arab Book House - Damascus - Cairo, 2004.

- "*The History of the Conflict between Religion and Science in the Middle Ages"*, Author: Andrew Dickson White, translated by Ismail Mazhar, Hindawi Foundation, Cairo, 1930.

- "*The Incoming Western Civilization and its Impact on the Educated Generation*", Author: Abu Al-Hassan Al-Nadawi

- "*Even Angels Ask*", Author: Jeffrey Lang, (22-23), translated by Munther Al-Abssi, 5th edition, 2001 AD, Dar Al-Fikr Library, Damascus - Beirut.

- "*Islam at the Crossroads"*, Author: Muhammad Asad, translated by Omar Farrukh, printed by Dar Al-Alam for Millions, none.

- "*Raising the Human Race"*, Author: Singh, translation, presentation and comment by Dr. Hassan Hanafi, second edition, 2006 AD, Dar Al Tanweer, Beirut - Lebanon.
- "*The Story of the Conflict between Religion and Philosophy*", Author: Tawfiq Al-Tawil, Library of Literature - Cairo, none.
- Muhammad Iqbal, "*Renewing the Religious Thought*", second edition, The Cultural Critic Center, 2010, Damascus, Syria.
- "*The spirit of lights"*, Author: Tzfitan Dodorov, definition by Hafiz Quiaa, first edition, 2007 AD, Muhammad Ali Publishing House, Tunisia
- "*The Impact of Science on Society*, Author: Bertrand Russell, the first lecture entitled (*Science and Traditions*, translation by Sabah Al-Din Damluji, first edition, Center for Arab Unity Studies - Beirut - 2008,
- "*Why am I not Christian?*", Author: Bertrand Russell, translation by Abdel Karim Nassif, first Edition, Dar Al-Takween, Damascus - Beirut, 2015,
- "*Modern and Contemporary Atheists*", Author: Ramses Awad, first edition 1998 AD, Sina Publication House, Cairo - Arab Publishing Foundation.
- "*Religious Existentialism"*, a study in the philosophy of Powell Tillish, Yomna El-Khouly, Hindawi Foundation, 2017.
-*"The Benefits"*, Author: Ibn al-Qayyim Al-Jawziyya, translated by Muhammad Uzair Shams, printed by Qatari Ministry of Endowments, 2016.